تعامله ﷺ مع الفقراء

الفقرُ في الشريعةِ الإسلاميّةِ يعني: النقصَ في الاحتياجاتِ الأساسيّةِ؛ فكل من ليسَ له كفايةٌ تكفيه، وتكفي عياله فهو من الفقراء والمساكين[١].

وكان ﷺ يجعل ما يزيدُ عن حاجته، وحاجةِ أهله من النفقة للفقراء والمساكين:

قال عمرُ بنُ الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كانَ رسولُ الله ﷺ ينفقُ منْ مالِهِ على أهلِهِ، ويتصدّقُ بفضلِهِ**»[٢].

ولمّا فتح خيبر، وأخذ نصيبه منها وهو الخمسُ؛ فعلَ به ذلك أيضاً، قال عمرُ: «**وأمّا خيبرُ فجزّأها رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أجزاءٍ: جزأينِ بينَ المسلمينَ، وجزءاً نفقةً لأهلِهِ، فما فضلَ عنْ نفقةِ أهلِهِ جعلهُ بينَ فقراءِ المهاجرينَ**»[٣]. وقد قال ﷺ: «**كلُّ مالِ النّبيِّ صدقةٌ إلاّ ما أطعمهُ أهلهُ وكساهمْ، إنّا لا نورثُ**»[٤].

وكان ﷺ يتأثّر إذا رأى الحاجة في وجوه بعض أصحابه أو هيئتهم:

عنْ جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كنّا عندَ رسولِ الله ﷺ في صدرِ النّهارِ، فجاءهُ قومٌ حفاةٌ عراةٌ مجتابي النّمارِ، أوِ العباءِ[٥] متقلّدي السّيوفِ، عامّتهمْ منْ مضَر، بلْ كلّهمْ منْ مضرَ، **فتمعّرَ**[٦] **وجهُ رسولِ الله ﷺ؛ لما رأى بهمْ منَ الفاقةِ**، فدخلَ، ثمَّ خرجَ، فأمرَ بلالًا،

---

(١) مجموع الفتاوى» [٢٨/ ٥٧٠].

(٢) رواه أبو داود [٢٩٧٥] وأصله في البخاري [٢٩٠٤]، ومسلم [١٧٥٧].

(٣) رواه أبو داود [٢٥٧٧]، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود [٢٩٦٧].

(٤) رواه البخاري [٢٩٠٤]، ومسلم [١٧٥٧]، وأبو داود [٢٩٧٥]، واللفظ له.

(٥) النّمار: جمع نمرة، وهي ثياب مخططة كالنمر، واجتابوها: أي: قوّروها من الوسط. النهاية [١/ ٣١٠]، [٥/ ١١٨].

(٦) أي: تغيّر. النهاية [٤/ ٣٤٢]

فـأذّنَ، وأقامَ، فصلّى، ثمَّ خطبَ، فقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخرِ الآيةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، والآيةَ الّتي في الحشرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، «**تصدّقَ رجلٌ منْ دينارِهِ، منْ درهمِهِ، منْ ثوبِهِ، منْ صاعِ برّهِ، منْ صاعِ تمرِهِ**». حتّى قالَ: «**ولوْ بشقِّ تمرةٍ**».

قالَ: فجاءَ رجلٌ منْ الأنصارِ بصرّةٍ كادتْ كفّهُ تعجزُ عنها، بلْ قدْ عجزتْ.

قالَ: ثمَّ تتابعَ النّاسُ حتّى رأيتُ كومينِ منْ طعامٍ وثيابٍ حتّى رأيتُ وجهَ رسولِ الله ﷺ يتهلّلُ[(١)] كأنّهُ مذهبةٌ، فقالَ رسولُ الله ﷺ:

«**منْ سنَّ في الإسلامِ سنّةً حسنةً؛ فلهُ أجرها، وأجرُ منْ عملَ بها بعدهُ منْ غيرِ أنْ ينقصَ منْ أجورهمْ شيءٌ، ومنْ سنَّ في الإسلامِ سنّةً سيّئةً؛ كانَ عليهِ وزرها، ووزرُ منْ عملَ بها منْ بعدهِ منْ غيرِ أنْ ينقصَ منْ أوزارهمْ شيءٌ**»[(٢)].

قال النووي: «أمّا سبب سرورهِ ﷺ ففرحاً بمبادرةِ المسلمينَ إلى طاعة الله تعالى، وبذلِ أموالهمْ لله، وامتثالِ أمرِ رسولِ الله ﷺ، ولدفعِ حاجةِ هؤلاءِ المحتاجينَ، وشفقةِ المسلمينَ بعضهمْ على بعضٍ، وتعاونهمْ على البرِّ والتّقوى.

وينبغي للإنسانِ إذا رأى شيئاً منْ هذا القبيلِ أنْ يفرحَ، ويظهرَ سرورهُ، ويكون فرحهُ لما ذكرناهُ»[(٣)].

من فوائد الحديث:

فيهِ: الحثُّ على الابتداء بالخيراتِ، وسنِّ السّننِ الحسناتِ.

وفيهِ: التّحذيرُ منِ اختراعِ الأباطيل والمستقبحاتِ[(٤)].

---

(١) أي: يستنير فرحاً.

(٢) رواه مسلم [١٠١٧].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم [٧/ ١٠٣].

(٤) شرح النووي على مسلم [٧/ ١٠٤].

والسّنّةُ الحسنة على نوعين:

الأوّل: أن تكونَ السّنّةُ مشروعةً، ثم يتركُ العملَ بها، ثم يجدّدها منْ يجدّدها، مثل قيام رمضانَ بإمام.

والثاني: أن يكونَ الإنسانُ أوّلَ من يبادرُ إلى فعل ما جاء به الشّرعُ، مثل حال الرجلِ الذي بادرَ بالصدقة حتى تتابعَ الناسُ، ووافقوه على ما فعل[١].

وكان يقدّرُ ما فيهم من الحاجة والفقر؛ فيكرمهم ويواسيهم:

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «والله الّذي لا إلهَ إلّا هوَ إنْ كنتُ لأعتمدُ بكبدي على الأرضِ منَ الجوعِ، وإنْ كنتُ لأشدُّ الحجرَ على بطني منَ الجوعِ»[٢].

وفي رواية للبخاري (٧٣٣٤): «لقدْ رأيتني، وإنّي لأخرّ ما بين المنبر والحجرة منَ الجوع مغشيّاً عليَّ، فيجيءُ الجائي، فيضع رجله على عنقي يرى أنَّ بي الجنونَ، وما بي إلّا الجوعُ».

ولقدْ قعدتُ يوماً على طريقهمْ الّذي يخرجونَ منهُ، فمرَّ أبو بكرٍ، فسألتهُ عنْ آيةٍ منْ كتابِ الله ما سألتهُ إلّا ليشبعني، فمرَّ ولمْ يفعلْ.

ثمَّ مرَّ بي عمرُ، فسألتهُ عنْ آيةٍ منْ كتابِ الله، ما سألتهُ إلّا ليشبعني، فمرَّ فلمْ يفعلْ، ودخلَ دارهُ[٣].

فمشيتُ غيرَ بعيدٍ، فخررتُ لوجهي منَ الجهدِ والجوعِ، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ على رأسي، فتبسّمَ حينَ رآني، فأخذَ بيدي، فأقامني، وعرفَ ما في نفسي، وما في وجهي.

ثمَّ قالَ: «**يا أبا هرٍّ**».

---

(١) شرح رياض الصالحين [١ / ١٩٩] لابن عثيمين بتصّرف.

(٢) قالَ العلماء: فائدة شدّ الحجر المساعدة على الاعتدال والانتصاب، أوْ المنع منْ كثرة التّحلّل منَ الغذاء الّذي في البطن لكونِ الحجر بقدرِ البطن، فيكون الضّعف أقلّ، أوْ لتقليلِ حرارة الجوع ببردِ الحجر. فتح الباري [١١/ ٢٨٤].

(٣) ولعلَّ العذر لكلٍّ منْ أبي بكر وعمر حمل سؤال أبي هريرة على ظاهره، أوْ فهما ما أرادهُ، ولكنْ لمْ يكنْ عندهما إذْ ذاكَ ما يطعمانِهِ.

قلتُ: لبّيكَ يا رسولَ الله.

قالَ: «**الحقْ**».

ومضى، فتبعتهُ، فدخلَ منزلهُ، فاستأذنتُ، فأذنَ لي، فوجدَ قدحاً منْ لبنٍ، فقالَ: «**منْ أينَ هذا اللّبنُ؟**».

قالوا: أهداهُ لكَ فلانٌ، أوْ فلانةُ.

قالَ: «**أبا هرٍّ**».

قلتُ: لبّيكَ يا رسولَ الله.

قالَ: «**الحقْ إلى أهلِ الصّفّةِ**[1] **فادعهمْ لي**».

قالَ: وأهلُ الصّفّةِ أضيافُ الإسلامِ، لا يأوونَ إلى أهلٍ ولا مالٍ، ولا على أحدٍ، إذا أتتهُ صدقةٌ بعثَ بها إليهمْ، ولمْ يتناولْ منها شيئاً، وإذا أتتهُ هديّةٌ أرسلَ إليهمْ، وأصابَ منها، وأشركهمْ فيها.

فساءني ذلكَ، فقلتُ: وما هذا اللّبنُ في أهلِ الصّفّةِ!! كنتُ أحقَّ أنا أنْ أصيبَ منْ هذا اللّبنِ شربةً أتقوّى بها.

وأنا رسولهُ إليهمْ، فسيأمرني أنْ أديرهُ عليهمْ، فما عسى أنْ يصيبني منهُ، وقدْ كنتُ أرجو أنْ أصيبَ منهُ ما يغنيني!

ولمْ يكنْ منْ طاعةِ الله وطاعةِ رسولهِ ﷺ بدٌّ، فأتيتهمْ، فدعوتهمْ.

فأقبلوا، فاستأذنوا، فأذنَ لهمْ، وأخذوا مجالسهمْ منَ البيتِ.

قالَ: «**يا أبا هرٍّ**».

قلتُ: لبّيكَ يا رسولَ الله.

---

(١) الصّفّة: مكان في مؤخّر المسجد النّبويّ مظلّل، أعدّ لنزولِ الغرباء فيهِ ممّنْ لا مأوى لهُ ولا أهل، وكانوا يكثرونَ فيهِ ويقلّونَ بحسبِ منْ يتزوّج منهمْ أوْ يموت أوْ يسافر. فتح الباري [٦/ ٥٩٥].

قالَ: «**خذْ، فأعطهمْ**».

قالَ: فأخذتُ القدحَ، فجعلتُ أعطيهِ الرّجلَ، فيشربُ حتّى يروى، ثمَّ يردُّ عليَّ القدحَ، فأعطيهِ الرّجلَ، فيشربُ حتّى يروى، ثمَّ يردُّ عليَّ القدحَ، فيشربُ حتّى يروى، ثمَّ يردُّ عليَّ القدحَ، حتّى انتهيتُ إلى النّبيِّ ﷺ، وقدْ رويَ القومُ كلّهمْ.

فأخذَ القدحَ، فوضعهُ على يدهِ، فنظرَ إليَّ، فتبسّمَ، فقالَ: «**أبا هرٍّ**».

قلتُ: لبّيكَ يا رسولَ الله.

قالَ: «**بقيتُ أنا، وأنتَ**».

قلتُ: صدقتَ يا رسولَ الله.

قالَ: «**اقعدْ، فاشربْ**».

فقعدتُ، فشربتُ.

فقالَ: «**اشربْ**».

فشربتُ، فما زالَ يقولُ: «**اشربْ**» حتّى قلتُ: لا، والّذي بعثكَ بالحقِّ ما أجدُ لهُ مسلكاً.

قالَ: «**فأرني**».

فأعطيتهُ القدحَ، فحمدَ الله، وسمّى، وشربَ الفضلةَ.

قالَ: فلقيتُ عمرَ، وذكرتُ لهُ الّذي كانَ منْ أمري، وقلتُ لهُ: فولّى الله ذلكَ منْ كانَ أحقَّ بهِ منكَ يا عمرُ، والله لقدْ استقرأتكَ الآيةَ ولأنا أقرأُ لها منكَ.

قالَ عمرُ: والله لأنْ أكونَ أدخلتكَ أحبُّ إليَّ منْ أنْ يكونَ لي مثلُ حمرِ النّعمِ[1].

فكان النبيُّ ﷺ يفطنُ للفقيرِ، وينتبهُ لأماراتِ الجوعِ البادية عليه؛ فيواسي بما يستطيع.

---

(١) رواه البخاري [٥٣٧٥]، [٦٤٥٢] والترمذي [٢٤٧٧].

من فوائد الحديث:

فيه: أنَّ خادم القوم إذا دار عليهمْ بما يشربونَ يتناول الإناءَ منْ كلِّ واحدٍ، فيدفعهُ هوَ إلى الّذي يليه، ولا يدعُ الرّجل يناول رفيقه؛ لما في ذلكَ منْ نوع امتهان الضّيف.

وفيهِ: معجزةٌ عظيمةٌ، ولها نظائرُ في علامات النّبوّةِ منْ تكثير الطّعامِ، والشّرابِ ببركتهِ ﷺ.

وفيهِ: جوازُ الشّبعِ، ولوْ بلغَ أقصى غايته أخذاً منْ قول أبي هريرة «لا أجد لهُ مسلكاً»، وتقريرِ النّبيّ ﷺ على ذلكَ.

لكن لا يتّخذُ الشّبعَ عادةً؛ لما يترتّبُ على ذلكَ منَ الكسل عنِ العبادةِ، وغيرها.

وفيهِ: أنَّ كتمانَ الحاجةِ، والتّلويحَ بها أولى منْ إظهارها، والتّصريحِ بها.

وفيهِ: كرمُ النّبيِّ ﷺ، وإيثاره على نفسه، وأهله، وخادمه.

وفيهِ: ما كانَ بعضُ الصّحابة عليهِ في زمنِ النّبيِّ ﷺ منْ ضيق الحال.

وفيهِ: فضلُ أبي هريرة، وتعفّفه عنِ التّصريحِ بالسّؤالِ، واكتفاؤهُ بالإشارةِ إلى ذلكَ، وتقديمه طاعةَ النّبيِّ ﷺ على حظّ نفسه، معَ شدّة احتياجه.

وفيهِ: أنَّ المدعوَّ إذا وصلَ إلى دار الدّاعي لا يدخل بغيرِ استئذان[1].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتتْ عليَّ ثلاثةُ أيّامٍ لمْ أطعمْ فيها طعاماً، فجئتُ أريدُ الصّفّةَ، فجعلتُ أسقطُ، فجعلَ الصّبيانُ ينادونَ: جنَّ أبو هريرةَ.

قالَ: فجعلتُ أناديهمْ، وأقولُ: بلْ أنتمُ المجانينُ حتّى انتهينا إلى الصّفّةِ.

فوافقتُ رسولَ الله ﷺ أتيَ بقصعةٍ منْ ثريدٍ، فدعا عليها أهلَ الصّفّةِ، وهمْ يأكلونَ منها، فجعلتُ أتطاولُ كيْ يدعوني، حتّى قامَ القومُ، وليسَ في القصعةِ إلّا شيءٌ في نواحي القصعةِ، فجمعهُ رسولُ الله ﷺ، فصارتْ لقمةً، فوضعها على أصابعهِ، ثمَّ قالَ لي: «**كلْ باسمِ اللهِ**».

---

(١) ينظر: فتح الباري [١١/ ٢٨٩].

فوالّذي نفسي بيدهِ ما زلتُ آكلُ منها حتّى شبعتُ[١].

وقد أشار أبو هريرة في هذه القصة إلى عادة النبي ﷺ مع فقراء الصحابة بقوله: «إذا أتتهُ صدقةٌ بعثَ بها إليهمْ ولمْ يتناولْ منها شيئاً، وإذا أتتهُ هديّةٌ أرسَل إليهمْ وأصابَ منها، وأشركهمْ فيها».

وفي قصة إسلام الفارسي رضي الله عنه قال سلمانُ: قدْ كانَ عندي شيءٌ قدْ جمعتهُ، فلمّا أمسيتُ أخذتهُ، ثمَّ ذهبتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهوَ بقباءَ، فدخلتُ عليهِ، فقلتُ لهُ: إنّهُ قدْ بلغني أنّكَ رجلٌ صالحٌ، ومعكَ أصحابٌ لكَ غرباءُ ذوو حاجةٍ، وهذا شيءٌ كانَ عندي للصّدقةِ، فرأيتكمْ أحقَّ بهِ منْ غيركمْ.

قالَ: فقرّبتهُ إليهِ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ لأصحابهِ: «**كلوا**»، وأمسكَ يدهُ، فلمْ يأكلْ.

قالَ: فقلتُ في نفسي: هذهِ واحدةٌ.

ثمَّ انصرفتُ عنهُ، فجمعتُ شيئاً، وتحوّلَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، ثمَّ جئتُ بهِ، فقلتُ: إنّي رأيتكَ لا تأكلُ الصّدقةَ، وهذهِ هديّةٌ أكرمتكَ بها.

قالَ: فأكلَ رسولُ الله ﷺ منها، وأمرَ أصحابهُ، فأكلوا معهُ.

قالَ: فقلتُ في نفسي: هاتانِ اثنتانِ...الحديث[٢].

وكذلك كان النبيُّ ﷺ يقسّمُ هؤلاءِ الفقراءَ بين أصحابه؛ ليطعموهم:

عن ابن سيرينَ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أمسى قسمَ ناساً منْ أهلِ الصّفّةِ بينَ أناسٍ منْ أصحابهِ، فكانَ الرّجلُ يذهبُ بالرّجلِ، والرّجلُ بالرّجلينِ، والرّجلُ بالثّلاثةِ، حتّى ذكرَ عشرةً[٣].

---

(١) رواه ابن حبان [٦٥٣٣]، وضعّفه الألباني في التعليقات الحسان [٦٤٩٩].

(٢) رواه أحمد [٢٣٢٢٥]، وحسنه الألباني في الصحيحة [٨٩٤].

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف [٢٧١٥٤].

قال الحسن: وما بقي منهم أدخلهم رسولُ الله ﷺ بيته، فأطعمهم ما كان عنده[١].

عنْ يعيشَ بنِ طخفةَ الغفاريِّ قالَ: كانَ أبي منْ أصحابِ الصّفّةِ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ بهمْ، فجعلَ ينقلبُ الرّجلُ بالرّجلِ والرّجلينِ، حتّى بقيتُ خامسَ خمسةٍ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**انطلقوا**».

فانطلقنا معهُ إلى بيتِ عائشةَ، فقالَ: «**يا عائشةُ، أطعمينا**».

فجاءتْ بحشيشةٍ[٢] فأكلنا، ثمَّ جاءتْ بحيسةٍ[٣] مثلِ القطاةِ[٤] فأكلنا.

ثمَّ قالَ: «**يا عائشةُ اسقينا**».

فجاءتْ بعسٍّ[٥]، فشربنا، ثمَّ جاءتْ بقدحٍ صغيرٍ فيهِ لبنٌ، فشربنا.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنْ شئتمْ بتّمْ، وإنْ شئتمْ انطلقتمْ إلى المسجد**».

فقلنا: لا، بلْ ننطلقُ إلى المسجدِ[٦].

ويحثُّ أصحابه على ذلك:

عنْ عبدِ الرّحمنِ بنِ أبي بكرٍ: أنَّ أصحابَ الصّفّةِ كانوا ناساً فقراءَ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ مرّةً: «**منْ كانَ عندهُ طعامُ اثنينِ؛ فليذهبْ بثالثٍ، ومنْ كانَ عندهُ طعامُ أربعةٍ؛ فليذهبْ بخامسٍ**».

وانطلقَ نبيُّ الله ﷺ بعشرةٍ[٧]، وأبو بكرٍ بثلاثةٍ، قالَ: فهوَ، وأنا، وأبي، وأمّي، وامرأتي، وخادمٌ بينَ بيتنا وبيتِ أبي بكرٍ.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان [١٠٣٣٣].

(٢) هوَ طعام يصنع منْ حنطة قدْ طحنتْ بعض الطّحن وطبختْ، وتلقى فيهِ لحم أوْ تمر.

(٣) طعام يتّخذ منْ تمر وسويق وأقط وسمن.

(٤) طائر معروف، وكأنّهُ شبّهَ به في القلّة

(٥) قدح ضخم.

(٦) رواه أبو داود [٥٠٤٠]، وابن ماجة [٧٥٢] وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب [١٨٠١].

(٧) هذا مبينٌ لما كانَ عليهِ النّبيّ ﷺ منَ الأخذ بأفضل الأمور، والسّبق إلى السّخاء والجود، فإنَّ عيال النّبيّ ﷺ كانوا قريباً منْ عدد ضيفانه هذهِ اللّيلة، فأتى بنصفِ طعامه أوْ نحوه. شرح النووي [١٤/ ٨].

وكانَ أبي يتحدّثُ إلى رسولِ الله ﷺ منَ اللّيلِ، فانطلقَ، وقالَ: يا عبدَ الرّحمنِ افرغْ منْ أضيافكَ قبل أنْ أجيءَ.

قالَ: فلمّا أمسيتُ جئنا بقراهمْ.

فأبوا، فقالوا: حتّى يجيءَ أبو منزلنا، فيطعمَ معنا.

فقلتُ لهمْ: إنّهُ رجلٌ حديدٌ، وإنّكمْ إنْ لمْ تفعلوا خفتُ أنْ يصيبني منهُ أذًى.

قالَ: فأبوا.

قالَ عبد الرّحمن: وإنَّ أبا بكرٍ تعشّى عندَ النّبيِّ ﷺ، ثمَّ لبثَ حتّى صلّيتِ العشاءُ، ثمَّ رجعَ، فلبثَ حتّى نعسَ رسولُ الله ﷺ.

فجاءَ بعدما مضى منَ اللّيلِ ما شاءَ الله.

قالتْ لهُ امرأتهُ: ما حبسكَ عنْ أضيافكَ؟

قالَ: أوَ ما عشّيتهمْ.

قالتْ: أبوا حتّى تجيءَ، قدْ عرضوا عليهمْ، فغلبوهمْ.[1]

قالَ عبد الرّحمن: فذهبتُ أنا فاختبأتُ.

وقالَ: يا غنثرُ[2]، فجدّعَ وسبَّ. فقالَ: يا غنثرُ، أقسمتُ عليكَ إنْ كنتَ تسمعُ صوتي إلّا جئتَ.

قالَ: فجئتُ فقلتُ: والله ما لي ذنبٌ، هؤلاءِ أضيافكَ فسلهمْ، قدْ أتيتهمْ بقراهمْ، فأبوا أنْ يطعموا حتّى تجيءَ.

قالوا: صدقكَ.

---

(١) أيْ: أنَّ آلَ أبي بكر عرضوا على الأضياف العشاء، فأبوا، فعالجوهمْ، فامتنعوا حتّى غلبوهمْ، وهذا فعلوهُ أدباً ورفقاً بأبي بكر فيما ظنّوهُ؛ لأنّهمْ ظنّوا أنّهُ لا يحصل لهُ عشاء منْ عشائهمْ.

(٢) هوَ الثّقيل الوخم، وقيلَ: هوَ الجاهل. النهاية [٣/ ٣٨٩]

فقالَ: ما لكمْ أنْ لا تقبلوا عنّا قراكمْ، فوالله لا أطعمهُ اللّيلةَ.

فقالوا: فوالله لا نطعمهُ حتّى تطعمهُ.

فقالَ أبو بكرٍ: إنْ كانتْ هذهِ منَ الشّيطانِ، فدعا بالطّعامِ، فسمّى، فأكلَ، وأكلوا.

قالَ عبد الرّحمن: فايمُ الله ما كنّا نأخذُ منْ لقمةٍ إلّا ربا[أيْ: زادَ] منْ أسفلها أكثرَ منها، حتّى شبعنا، وصارتْ أكثرَ ممّا كانتْ قبلَ ذلكَ.

فنظرَ إليها أبو بكرٍ، فإذا هيَ كما هيَ، أوْ أكثرُ.

قالَ لامرأتهِ: يا أختَ بني فراسٍ ما هذا؟

قالتْ: لا وقرّةِ عيني لهيَ الآنَ أكثرُ منها قبلَ ذلكَ بثلاثِ مرارٍ.

ثمَّ حملها إلى رسولِ الله ﷺ، فأصبحتْ عندهُ.(١)

فقالَ: يا رسولَ الله برّوا، وحنثتُ.

فقالَ: «**بلْ أنتَ أبرّهمْ، وأخيرهمْ**». [أيْ: لأنّك حنثت في يمينك حنثاً مندوباً إليهِ مطلوباً، فأنتَ أفضل منهمْ بهذا الاعتبار].

قالَ عبد الرّحمن: وكانَ بيننا وبينَ قومٍ عقدٌ فمضى الأجلُ، فعرّفنا اثنا عشرَ رجلاً(٢)، معَ كلِّ رجلٍ منهمْ أناسٌ الله أعلمُ كمْ معَ كلِّ رجلٍ، إلّا أنّهُ بعثَ معهمْ، فأكلوا منها أجمعونَ(٣).

فالحاصل أنَّ جميع الجيش أكلوا منْ تلكَ الجفنة الّتي أرسلَ بها أبو بكر إلى النّبيّ ﷺ.

من فوائد الحديث:

فيه: استحبابُ إيثارِ الفقراءِ بالشّبع من الطعامِ، ومواساتهم فيه؛ فلهذا أمرَ من كانَ عندهُ طعامُ اثنينِ أن يذهبَ بثالث، ومن كان عنده طعامُ أربعةٍ أن يذهبَ بخامسٍ.

---

(١) أي: الجفنة على حالها.

(٢) أيْ جعلنا عرفاء.

(٣) القصة مجمعة من روايات البخاري [٦٠٢]، [٣٥٨١]، [٦١٤١] ومسلم [٢٠٧٥] وأحمد [١٧١٤].

وفيهِ: ما يقعُ منْ لطفِ الله تعالى بأوليائِهِ.

وفيهِ: فضيلةُ الإيثارِ والمواساةِ، وأنّهُ إذا حضرَ ضيفانٌ كثيرونَ فينبغي للجماعةِ أنْ يتوزّعوهمْ، ويأخذَ كلُّ واحدٍ منهمْ منْ يحتملهُ، وأنّهُ ينبغي لكبيرِ القومِ أنْ يأمر أصحابه بذلكَ، ويأخذ هوَ منْ يمكنهُ.

وفيهِ: التجاءُ الفقراءِ إلى المساجدِ عندَ الاحتياجِ إلى المواساةِ إذا لمْ يكنْ في ذلكَ إلحاحٌ، ولا إلحافٌ، ولا تشويشٌ على المصلّينَ.

وفيهِ: التّوظيفُ في المخمصةِ.

وفيهِ: جوازُ الغيبة عنِ الأهل، والولدِ، والضّيفِ إذا أعدّتْ لهمُ الكفايةُ.

وفيهِ: تصرّفُ المرأة فيما تقدّمُ للضّيفِ، والإطعامُ بغيرِ إذن خاصٍّ منَ الرّجل.

وفيهِ: جوازُ سبِّ الوالد للولدِ على وجه التّأديبِ، والتّمرين على أعمالِ الخيرِ، وتعاطيهِ.

وفيهِ: جوازُ الحلفِ على تركِ المباحِ.

وفيهِ: توكيدُ الرّجلِ الصّادق لخبرِهِ بالقسمِ.

وفيهِ: جوازُ الحنثِ بعد عقد اليمينِ.

وفيهِ: عرضُ الطّعامِ الّذي تظهرُ فيهِ البركةُ على الكبار، وقبولهمْ ذلكَ.

وفيهِ: العملُ بالظّنِّ الغالب لأنَّ أبا بكر ظنَّ أنَّ عبد الرّحمن فرّطَ في أمر الأضياف، فبادرَ إلى سبّه، وقوّى القرينةَ عنده اختباؤهُ منهُ.

وفيهِ: ما كانَ عليهِ النّبيُّ ﷺ منَ الأخذِ بأفضلِ الأمورِ، والسّبقِ إلى السّخاءِ، والجودِ؛ فإنَّ عيالَ النّبيِّ ﷺ كانوا قريباً منْ عددِ ضيفانهِ هذهِ اللّيلةَ[1].

وكان ﷺ يقاسمهم ما عنده من طعام:

عنِ المقدادِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: جئت أنا، وصاحبٌ لي؛ قدْ كادتْ تذهبُ أسماعنا،

(١) ينظر: فتح الباري [٦/ ٦٠٠] لابن حجر، فتح الباري [٤ / ١٧٥] لابن رجب، شرح النووي على صحيح مسلم [١٤/ ١٨].

وأبصارنا منَ الجوعِ، فجعلنا نتعرّضُ للنّاسِ، فلمْ يضفنا أحد، فأتينا النّبيَّ ﷺ، فقلنا: يا رسولَ الله! بنا جوعٌ شديدٌ؛ فتعرّضنا للنّاسِ، فلمْ يضفنا أحدٌ، فأتيناك.

فذهبَ بنا إلى منزلهِ، فإذا ثلاثةُ أعنزٍ؛ فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**احتلبوا هذا اللّبنَ بيننا**».

قالَ: فكنّا نحتلبُ، فيشربُ كلُّ إنسانٍ منّا نصيبهُ، ونرفعُ للنّبيِّ ﷺ نصيبهُ.

فيجيءُ منَ اللّيلِ، فيسلّمُ تسليماً لا يوقظُ نائماً، ويسمعُ اليقظانَ.

ثمَّ يأتي المسجدَ، فيصلّي، ثمَّ يأتي شرابهُ، فيشربُ.

فأتاني الشّيطانُ ذاتَ ليلةٍ، وقدْ شربتُ نصيبي؛ فقالَ: محمّدٌ يأتي الأنصارَ، فيتحفونهُ، ويصيبُ عندهمْ، ما بهِ حاجةٌ إلى هذهِ الجرعةِ، فأتيتها، فشربتها.

فلمّا أنْ وغلتْ[1] في بطني، وعلمتُ أنّهُ ليسَ إليها سبيلٌ؛ ندّمني الشّيطانُ، فقالَ: ويحكَ ما صنعتَ؟! أشربتَ شرابَ محمّدٍ، فيجيءُ، فلا يجدهُ، فيدعو عليكَ؛ فتهلكُ، فتذهبُ دنياكَ، وآخرتكَ.

وعليَّ شملةٌ إذا وضعتها على قدميَّ خرجَ رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرجَ قدمايَ، وجعلَ لا يجيئني النّومُ.

وأمّا صاحبايَ؛ فناما، ولمْ يصنعا ما صنعتُ.

فجاءَ النّبيُّ ﷺ؛ فسلّمَ كما كانَ يسلّمُ، ثمَّ أتى المسجدَ، فصلّى، ثمَّ أتى شرابهُ، فكشفَ عنهُ، فلمْ يجدْ فيهِ شيئاً، فرفعَ رأسهُ إلى السّماءِ.

فقلتُ: الآنَ يدعو عليَّ، فأهلكُ.

فقالَ: «**اللهمَّ أطعمْ منْ أطعمني، وأسقِ منْ أسقاني!**».

فعمدتُ إلى الشّملةِ، فشددتها عليَّ، وأخذتُ الشّفرةَ، فانطلقتُ إلى الأعنزِ أيّها أسمنُ،

---

(١) الوغولُ: الدّخول في الشيّء. النهاية [٥/ ٢٠٩].

فأذبحها لرسولِ الله ﷺ، فإذا هيَ حافلةٌ، وإذا هنَّ حفّلٌ كلّهنَّ[١]، فعمدتُ إلى إناءٍ لآلِ محمّدٍ ﷺ ما كانوا يطمعونَ أنْ يحتلبوا فيهِ، فحلبتُ فيهِ حتّى علتهُ رغوةٌ، فجئتُ إلى رسولِ الله ﷺ.

فقالَ: «**أشربتمْ شرابكمُ اللّيلةَ؟**».

قلتُ: يا رسولَ الله، اشربْ، فشرب، ثمَّ ناولني.

فقلتُ: يا رسولَ الله اشربْ، فشربَ، ثمَّ ناولني.

فلمّا عرفتُ أنَّ النّبيَّ ﷺ قدْ رويَ، وأصبتُ دعوتهُ، ضحكتُ حتّى ألقيتُ إلى الأرضِ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**إحدى سوآتكَ يا مقدادُ**». فقلتُ: يا رسولَ الله كانَ منْ أمري كذا وكذا، وفعلتُ كذا.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**ما هذهِ إلّا رحمةٌ منَ الله، أفلا كنتَ آذنتني، فنوقظَ صاحبينا، فيصيبانِ منها؟**».

قالَ، فقلتُ: والّذي بعثكَ بالحقِّ ما أبالي إذا أصبتها، وأصبتها معكَ منْ أصابها منَ النّاسِ[٢].

وفي قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه لمّا قدّم إلى رسول الله ﷺ طعاماً على وجه الهدية، أكلَ رسولُ الله ﷺ منها، وأمرَ أصحابهُ، فأكلوا معهُ[٣].

وإذا لم يكن عنده ما يواسي به الفقيرَ أرسله إلى أحد أصحابه:

عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقالَ: إنّي مجهودٌ.

فأرسلَ إلى بعضِ نسائهِ، فقالتْ: والّذي بعثكَ بالحقِّ ما عندي إلّا ماءٌ.

ثمَّ أرسلَ إلى أخرى، فقالتْ مثلَ ذلكَ، حتّى قلنَ كلّهنَّ مثلَ ذلكَ: لا والّذي بعثكَ بالحقِّ ما عندي إلّا ماءٌ.

---

(١) أي: اجتمع اللبن الكثير في ضرعها، وهذهِ منْ معجزات النّبوّة، وآثار بركته ﷺ.

(٢) رواه مسلم [٢٠٥٥]، وقد سبق في الباب الثاني فليراجع هناك.

(٣) رواه أحمد [٢٣٢٢٥]، وحسنه الألباني في الصحيحة [٨٩٤]، وقد سبق.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**ألا رجلٌ يضيّفهُ هذهِ اللّيلةَ يرحمهُ الله؟**».

فقالَ رجلٌ منَ الأنصارِ: أنا يا رسولَ الله.

فانطلقَ بهِ إلى رحلهِ، فقالَ لامرأتهِ: أكرمي ضيفَ رسولِ الله ﷺ.

فقالتْ: ما عندنا إلّا قوتُ صبياني.

فقالَ: هيّئي طعامكِ، وأصبحي سراجكِ، ونوّمي صبيانكِ إذا أرادوا عشاءً، فإذا دخلَ ضيفنا؛ فأطفئي السّراجَ، وأريهِ أنّا نأكلُ، فإذا أهوى؛ ليأكلَ فقومي إلى السّراجِ حتّى تطفئيهِ.

فهيّـأتْ طعامها، وأصبحتْ سراجها، ونوّمتْ صبيانها، ثمَّ قامتْ كأنّها تصلحُ سراجها، فأطفأتهُ، فجعلا يريانهِ أنّهما يأكلانِ، فباتا طاويينِ.

فلمّا أصبحَ غدا إلى رسولِ الله ﷺ.

فقـالَ: «**ضحكَ الله اللّيلةَ، أوْ عجبَ منْ صنيعكما**» فأنزلَ الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩][(١)].

ومن ذلك:

عـنِ ابـنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: جاءَ نبيَّ الله ﷺ رجـلانِ حاجتهما واحدةٌ، فتكلّمَ أحدهما، فوجدَ نبيُّ الله ﷺ منْ فيهِ إخلافاً[(٢)].

فقالَ لهُ: «**ألا تستاكُ**».

فقالَ: إنّي لأفعلُ، ولكنّي لمْ أطعمْ طعاماً منذُ ثلاثٍ.

فأمرَ بهِ رجلاً فآواهُ، وقضى لهُ حاجتهُ[(٣)].

---

(١) رواه البخاري [٣٧٨٩] ومسلم [٢٠٥٤]، وقد سبق مع بعض فوائده في الباب الثاني في تعامله ﷺ مع الضيوف، فليراجع هناك.

(٢) من الخلوف وهو تغيّر رائحة الفم، والخلوف يظهر عند خلو المعدة من الطعام.

(٣) رواه أحمد [٢٤٠٥] وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: [١٠/ ٣٢٤] "إسناده جيد"، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند [٤/ ١٣١].

وكان ﷺ يعايشُ أحوالهم؛ ليكون القدوةَ لهم في الصبر والتحمّل:

عنْ سماكِ بنِ حربٍ قالَ: سمعتُ النّعمانَ يخطبُ قالَ: ذكرَ عمرُ ما أصابَ النّاسُ منَ الدّنيا فقالَ: «لقدْ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يظلُّ اليومَ يلتوي ما يجدُ دقلاً[١] يملأُ بهِ بطنهُ!»[٢].

وعنْ أبي حازمٍ قالَ: رأيتُ أبا هريرةَ يشيرُ بإصبعهِ مراراً يقولُ: والّذي نفسُ أبي هريرةَ بيدهِ ما شبعَ نبيُّ الله ﷺ وأهلهُ ثلاثةَ أيّامٍ تباعاً منْ خبزِ حنطةٍ حتّى فارقَ الدّنيا[٣].

ولفظ البخاري: «ما شبعَ آلُ محمّدٍ ﷺ منْ طعامٍ ثلاثةَ أيّامٍ حتّى قبضَ».

وعنْ عائشةَ رضي الله عنها أنّها قالتْ لعروةَ: ابنَ أختي إنْ كنّا لننظرُ إلى الهلالِ، ثمَّ الهلالِ، ثمَّ الهلالِ، ثلاثةَ أهلّةٍ في شهرينِ، وما أوقدتْ في أبياتِ رسولِ الله ﷺ نارٌ!.

فقلتُ: يا خالةُ ما كانَ يعيشكمْ؟

قالتْ: الأسودانِ التّمرُ والماءُ، إلّا أنّهُ قدْ كانَ لرسولِ الله ﷺ جيرانٌ منَ الأنصارِ كانتْ لهمْ منائحُ، وكانوا يمنحونَ رسولَ الله ﷺ منْ ألبانهمْ، فيسقينا[٤].

وعنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: لقدْ توفّيَ النّبيُّ ﷺ وما في رفّي منْ شيءٍ يأكلهُ ذو كبدٍ إلّا شطرُ شعيرٍ في رفٍّ لي، فأكلتُ منهُ حتّى طالَ عليَّ، فكلتهُ ففنيَ[٥].

وعنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: ما أكلَ آلُ محمّدٍ ﷺ أكلتينِ في يومٍ إلّا إحداهما تمرٌ[٦].

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قصة حفر الخندق: إنّا يومَ الخندقِ نحفرُ، فعرضتْ كديةٌ شديدةٌ، فجاءوا النّبيَّ ﷺ، فقالوا: هذهِ كديةٌ[٧] عرضتْ في الخندقِ.

---

(١) الدقل: التمر الرديء. النهاية [٢/ ٢٩٩].

(٢) رواه مسلم [٢٩٧٨].

(٣) رواه البخاري [٥٣٧٤]، ومسلم [٢٩٧٦]، وهذا لفظه.

(٤) رواه البخاري [٢٥٦٧] ومسلم [٢٩٧٢].

(٥) رواه البخاري [٣٠٩٧]، ومسلم [٢٩٧٣].

(٦) رواه البخاري [٦٤٥٥]، ومسلم [٢٩٧١].

(٧) الكدية: قطعة غليظةٌ صلبة لا تعمل فيها الفأس. النهاية [٤/ ١٥٦]

فقالَ: «**أنا نازلٌ**»، ثمَّ قامَ **وبطنهُ معصوبٌ بحجرٍ**، ولبثنا ثلاثةَ أيّامٍ لا نذوقُ ذواقاً، فأخذَ النّبيُّ ﷺ المعولَ، فضربَ، فعادَ كثيباً أهيلَ...الحديث[١].

وعنْ أبي طلحةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: شكونا إلى رسولِ الله ﷺ الجوعَ، ورفعنا عنْ بطوننا عنْ حجرٍ حجرٍ، فرفعَ رسولُ الله ﷺ عنْ حجرينِ[٢].

وكان من هديه ﷺ في التعامل معهم: مجالستهم، والقربُ منهم، وعدمُ التكبّر عليهم.

عن عثمان بن اليمانِ -وهو من أتباع التابعين- قالَ: لمّا كثرتِ المهاجرونَ بالمدينةِ، ولمْ يكنْ لهمْ دارٌ، ولاَ مأوى أنزلهمْ رسولُ الله ﷺ المسجدَ، وسمّاهمْ: أصحابَ الصّفّةِ، فكانَ يجالسهمْ، ويأنسُ بهمْ[٣].

وفي هذه المجالسةِ تسليةٌ لهم ومؤانسةٌ، وفيها امتثالٌ لأمر الله تعالى كما قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

قال السعدي: «يأمرُ تعالى نبيّه محمداً ﷺ -وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي- أن يصبرَ نفسه مع المؤمنين العباد المنيبينَ ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾، أي: أوّلَ النهارِ وآخره يريدون بذلك وجهَ الله، فوصفهم بالعبادةِ، والإخلاصِ فيها، ففيها الأمرُ بصحبةِ الأخيارِ، ومجاهدةِ النفسِ على صحبتهم، ومخالطتهم، وإن كانوا فقراءَ؛ فإن في صحبتهم من الفوائدِ ما لا يحصى.

﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾، أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفعْ عنهم نظرك.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، فإن هذا ضارٌّ غيرُ نافعٍ، وقاطعٌ عن المصالحِ الدينيّةِ، فإن ذلك يوجبُ تعلّقَ القلبِ بالدنيا، فتصيرُ الأفكارُ والهواجسُ فيها، وتزولُ من القلبِ الرغبةُ في الآخرةِ، فإن زينةَ الدنيا تروقُ للناظر، وتسحرُ العقلَ، فيغفلُ القلبُ عن ذكرِ الله، ويقبلُ

(١) رواه البخاري [٤١٠١]، ومسلم [٢٠٣٩].

(٢) رواه الترمذي [٢٣٧١]، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي [٢٤٩٠].

(٣) سنن البيهقي [٤١٣٥].

على اللّذّاتِ والشهواتِ، فيضيعُ وقتهُ، وينفرطُ أمره، فيخسرُ الخسارةَ الأبديّةَ، والندامةَ السرمديّةَ؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾، غفل عن الله، فعاقبهُ بأن أغفله عن ذكرهِ.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، أي: صار تبعاً لهواه، حيث ما اشتهتْ نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتّخذَ إلهُ هواهُ، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ الآية. ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾، أي: مصالحُ دينه ودنياه ﴿فُرُطًا﴾، أي: ضائعةً معطّلةً. فهذا قد نهى الله عن طاعته؛ لأنَّ طاعته تدعو إلى الاقتداءِ به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متّصفٌ به»[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾.

قال السعدي: «أي: لا تطردْ عنكَ، وعن مجالستك أهلَ العبادةِ والإخلاصِ؛ رغبةً في مجالسةِ غيرهم منَ الملازمين لدعاءِ ربّهم دعاءَ العبادةِ بالذّكرِ، والصلاةِ ونحوها، ودعاءِ المسألةِ في أوّلِ النهارِ وآخره، وهم قاصدونَ بذلك وجهَ الله، ليس لهم من الأغراضِ سوى ذلك الغرضِ الجليلِ.

فهؤلاء ليسوا مستحقّين للطردِ، والإعراضِ عنهم، بل مستحقّونَ لموالاتهم ومحبّتهم، وإدنائهم، وتقريبهم؛ لأنهم الصفوةُ من الخلقِ وإن كانوا فقراءَ، والأعزاءُ في الحقيقةِ وإن كانوا عند الناسِ أذلّاءَ.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾، أي: كلٌّ له حسابه، وله عمله الحسنُ، وعمله القبيحُ. ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقد امتثلَ ﷺ هذا الأمر أشدَّ امتثالٍ، فكان إذا جالس الفقراء من المؤمنين صبر نفسه معهم، وأحسنَ معاملتهم، وألانَ لهم جانبه، وحسّنَ خلقه، وقرّبهم منه، بل كانوا هم أكثر

(١) تفسير السعدي [١/ ٤٧٥].

أهلِ مجلسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[(١)].

وكان سببُ نزولِ هذه الآيات أنَّ جماعةً من أشرافِ العربِ أنفوا أن يستجيبوا إلى دعوة الإسلام؛ لأن محمداً ﷺ يؤوي إليه الفقراءَ الضّعافَ، من أمثال: صهيب، وبلال، وعمار، وخبّاب، وسلمان، وابن مسعود، وأمثالهم، وعليهم جبابٌ تفوحُ منها رائحةُ العرقِ لفقرهم.

ومكانتهم الاجتماعيّةُ لا تؤهّلهم لأن يجالسوا ساداتِ قريشٍ!

فطلب هؤلاءِ الكبراءُ إلى رسول الله ﷺ أن يطردهم عنه، فأبى. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾. فاقترحوا أن يخصّصَ لهم مجلساً، ويخصّصَ للأشرافِ مجلساً آخر، لا يكونُ فيه هؤلاءِ الفقراءُ الضّعافُ؛ كي يظلَّ للسادة امتيازهم، واختصاصهم، ومهابتهم في المجتمع الجاهليِّ!

فهمَّ ﷺ رغبةً في إسلامهم أن يستجيبَ لهم في هذه. فجاءه أمر ربه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرَّ الملأُ من قريشٍ برسولِ الله ﷺ، وعنده: صهيبٌ، وبلالٌ، وعمارٌ، وخبّابٌ، وغيرهم من ضعفاءِ المسلمينَ.

فقالوا: يا محمدُ، أرضيتَ بهؤلاء من قومكَ؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟ ونحن نكونُ تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلّك إن طردتهم أن نتّبعك.

فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢][(٢)].

وعنْ سعدِ بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كنّا معَ النّبيِّ ﷺ ستّةَ نفرٍ، فقالَ المشركونَ للنّبيِّ ﷺ: اطردْ هؤلاءِ لا يجترئونَ علينا.

---

(١) تفسير السعدي [١/ ٢٥٧].

(٢) تفسير الطبري [١١/ ٣٧٤]

وكنتُ أنا وابنُ مسعودٍ ورجلٌ منْ هذيلٍ، وبلالٌ ورجلانِ لستُ أسمّيهما.

فوقعَ في نفسِ رسولِ الله ﷺ ما شاءَ الله أنْ يقعَ، فحدّثَ نفسهُ، فأنزلَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1].

ومن تعامله ﷺ معهم أنه كان يدلّهم على أبواب الخير والأعمال الصالحة التي توصلهم إلى منزلة الأغنياء المنفقين:

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ فقراءَ المهاجرينَ أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: ذهبَ أهلُ الدّثورِ[2] بالدّرجاتِ العلى، والنّعيمِ المقيمِ.

فقالَ: «**وما ذاكَ؟**».

قالوا: يصلّونَ كما نصلّي، ويصومونَ كما نصومُ، ويتصدّقونَ ولا نتصدّقُ، ويعتقونَ ولا نعتقُ[3].

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أفلا أعلّمكمْ شيئاً تدركونَ بهِ منْ سبقكمْ، وتسبقونَ بهِ منْ بعدكمْ، ولا يكونُ أحدٌ أفضلَ منكمْ إلّا منْ صنعَ مثلَ ما صنعتمْ؟**».

قالوا: بلى يا رسولَ الله.

قالَ: «**تسبّحونَ، وتكبّرونَ، وتحمدونَ، دبرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ مرّةً**».

فرجعَ فقراءُ المهاجرينَ إلى رسولِ الله ﷺ، فقالوا: سمعَ إخواننا أهلُ الأموالِ بما فعلنا، ففعلوا مثلهُ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**ذلكَ فضلُ الله يؤتهِ منْ يشاءُ**»[4].

---

(١) رواه مسلم [٢٤١٣].

(٢) أي: الأموال الكثيرة. النهاية [٢/ ٢١٤]

(٣) وفي رواية للبخاري: ولهمْ فضلٌ منْ أموالٍ يحجّونَ بها، ويعتمرونَ، ويجاهدونَ، ويتصدّقونَ.

(٤) رواه البخاري [٨٤٣]، ومسلم [٥٩٥].

وكان ﷺ يسألُ الله حبَّ الفقراء والمساكين:

فكان يقول في صلاته: «اللهمَّ إنّي أسألكَ فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحبَّ المساكينِ، وإذا أردتَ بعبادكَ فتنةً؛ فاقبضني إليكَ غيرَ مفتونٍ»[(١)].

وكان يأمر أصحابه بحب المساكين والقرب منهم:

فعنْ أبي ذرٍّ الغفاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: أمرني خليلي ﷺ بسبعٍ: **«أمرني بحبِّ المساكينِ، والدّنوِّ منهمْ، وأمرني أنْ أنظرَ إلى منْ هوَ دوني، ولا أنظرَ إلى منْ هوَ فوقي، وأمرني أنْ أصلَ الرّحمَ وإنْ أدبرتْ، وأمرني أنْ لا أسألَ أحداً شيئاً، وأمرني أنْ أقولَ بالحقِّ وإنْ كانَ مرّاً، وأمرني أنْ لا أخافَ في الله لومةَ لائمٍ، وأمرني أنْ أكثرَ منْ قولِ: «لا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ» فإنّهنَّ منْ كنزٍ تحتَ العرشِ»**[(٢)].

وكان ﷺ يتفقّدهم، ويسأل عن أحوالهم:

عنْ أبي أمامةَ بنِ سهلِ بنِ حنيفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ مسكينةً مرضتْ، فأخبرَ رسولُ الله ﷺ بمرضها، وكانَ رسولُ الله ﷺ يعودُ المساكينَ، ويسألُ عنهمْ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: **«إذا ماتتْ فآذنوني بها»**.

فخرجَ بجنازتها ليلاً، فكرهوا أنْ يوقظوا رسولَ الله ﷺ.

فلمّا أصبحَ رسولُ الله ﷺ أخبرَ بالّذي كانَ منْ شأنها فقالَ: **«ألمْ آمركمْ أنْ تؤذنوني بها؟»**.

فقالوا: يا رسولَ الله كرهنا أنْ نخرجكَ ليلاً ونوقظكَ.

فخرجَ رسولُ الله ﷺ حتّى صفَّ بالنّاسِ على قبرها، وكبّرَ أربعَ تكبيراتٍ[(٣)].

وكذلك اهتمَّ بالمعدمين من المساكين، ومنهم ذو البجادينِ:

عنْ عبدَ الله بنَ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قمتُ منْ جوفِ اللّيلِ، وأنا معَ رسولِ الله ﷺ في

---

(١) رواه الترمذي [٣٢٣٣] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحّحه الألباني في الإرواء [٦٨٤].

(٢) رواه أحمد [٢٠٩٠٦]، وصححه الألباني في الصحيحة [٢١٦٦].

(٣) رواه مالك في الموطأ [٥٣١]، والنسائي [١٩٠٧]، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي [١٩٠٧]، وروى البخاري [٤٥٨]، ومسلم [٩٥٦] نحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

غزوةِ تبوكَ، فرأيت شعلةً منْ نارٍ في ناحيةِ العسكرِ، فاتّبعتها أنظرُ إليها، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ.

وإذا عبدُ الله ذو البجاديـنِ المـزنيّ قدْ مـاتَ، وإذا همْ قدْ حفروا لهُ، ورسـولُ الله ﷺ في حفرتهِ، وأبو بكرٍ وعمرُ يدلّيانهِ إليهِ، وهوَ يقولُ: «**أدنيا إليّ أخاكما**» فدلّياهُ إليهِ.

فلمّا هيّأهُ لشقّهِ، قالَ: «**اللهمَّ إنّي أمسيتُ راضياً عنهُ؛ فارضَ عنهُ**».

قالَ عبدُ الله بنُ مسعودٍ: يا ليتني كنتُ صاحبَ الحفرةِ[١].

قالَ ابنُ هشـامٍ: وإنّما سـمّيَ ذا البجادينِ؛ لأنّهُ كانَ ينازعُ إلى الإسـلامِ، فيمنعهُ قومهُ منْ ذلكَ، ويضيّقونَ عليهِ حتّى تركوهُ في بجادٍ ليسَ عليهِ غيرهُ. والبجادُ: الكساءُ الغليظُ الجافي.

فهـربَ منهـمْ إلى رسـولِ الله ﷺ، فلمّا كانَ قريباً منهُ شـقّ بجـادهُ باثنينِ، فاتّـزرَ بواحدٍ، واشتملَ بالآخرِ، ثمّ أتى رسولَ الله ﷺ، فقيلَ لهُ ذو البجادينِ لذلكَ[٢].

ويقضي حاجة المحتاج منهم:

عـنْ أسـماءَ بنتِ أبي بكـرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالتْ: تزوّجنـي الزّبيرُ **وما لـهُ في الأرضِ منْ مالٍ، ولا مملوكٍ، ولا شيءٍ غيرَ ناضحٍ**، وغيرَ فرسهِ، فكنتُ أعلفُ فرسهُ، وأستقي الماءَ...فلمْ يكنْ منَ الخدمةِ شيءٌ أشدَّ عليَّ منْ سياسةِ الفرسِ كنتُ أحتشُّ لهُ، وأقومُ عليهِ، وأسوسهُ.

قالَ: ثمَّ جاءَ النّبيَّ ﷺ سـبيٌ، فأعطاها خادماً[٣]. قالتْ: كفتني سياسـةَ الفرس، فألقتْ عنّي مئونتهُ[٤].

تنبيه: في رواية «حتّى أرسلَ إليَّ أبو بكر بخادمٍ تكفيني سياسة الفرس، فكأنّما أعتقني»[٥].

---

(١) السيرة النبوية [٢/ ٥٢٧] لابن هشام، وقال ابن حجر في الإصابة [٤/ ١٦٢]: «رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا».

(٢) السيرة النبوية [٢/ ٥٢٧] لابن هشام.

(٣) أي: جارية.

(٤) رواه البخاري [٤٨٢٣]، ومسلم [٢١٨٢].

(٥) رواه البخاري [٥٢٢٤]، ومسلم [٢١٨٢].

قال الحافظ ابن حجر: «ويجمع بين الرّوايتين بأنَّ السّبي لمّا جاءَ إلى النّبيّ ﷺ أعطى أبا بكر منهُ خادماً؛ ليرسلهُ إلى ابنته أسماء، فصدقَ أنَّ النّبيّ ﷺ هوَ المعطي، ولكنْ وصلَ ذلكَ إليها بواسطةٍ»[(١)].

ويسألهم عن حاجتهم؛ ليقضيها لهم:

عنْ خادمٍ للنّبيِّ ﷺ رجلٍ أوْ امرأةٍ قالَ: كانَ النّبيُّ ﷺ ممّا يقولُ للخادمِ: «**ألكَ حاجةٌ؟**».

قالَ حتّى كانَ ذاتَ يومٍ، فقالَ: يا رسولَ الله حاجتي.

قالَ: «**وما حاجتكَ؟**».

قالَ: (حاجتي أنْ تشفعَ لي يومَ القيامةِ).

قالَ: «**ومنْ دلّكَ على هذا؟**».

قالَ: ربّي.

قالَ: «**إمّا لا؛ فأعنّي بكثرةِ السّجودِ**»[(٢)].

وكان يطلب من خادمه أن يسأله ما يشاءُ، فيجيبُ طلبه وإن عظم:

عن ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كنتُ أبيتُ معَ رسولِ الله ﷺ، فأتيتهُ بوضوئهِ [أي: الماء الذي يتوضأ به]، وحاجتهِ، فقالَ لي: «**سلْ**».

فقلتُ: أسألكَ مرافقتكَ في الجنّةِ.

قالَ: «**أوْ غيرَ ذلكَ**».

قلتُ: هوَ ذاكَ.

قالَ: «**فأعنّي على نفسكَ بكثرةِ السّجودِ**»[(٣)].

---

(١) فتح الباري [٩/ ٣٢٤].

(٢) رواه أحمد [١٥٦٤٦] وصححه الألباني في صحيح الجامع [٤٨٣٦].

(٣) رواه مسلم [٤٨٩].

وفي رواية عنْ ربيعةَ قالَ: كنتُ أخدمُ رسولَ الله ﷺ، وأقومُ لهُ في حوائجهِ نهاري أجمعَ، حتّى يصلّيَ رسولُ الله ﷺ العشاءَ الآخرةَ، فأجلسَ ببابهِ إذا دخلَ بيتهُ، أقولُ لعلّها أنْ تحدثَ لرسولِ الله ﷺ حاجةٌ، فما أزالُ أسمعهُ يقولُ ﷺ: «**سبحانَ الله سبحانَ الله سبحانَ الله وبحمدهِ**» حتّى أملَّ، فأرجعَ، أوْ تغلبني عيني، فأرقدَ.

قالَ: فقالَ لي يوماً لما يرى منْ خفّتي لهُ وخدمتي إيّاهُ: «**سلني يا ربيعةُ؛ أعطكَ**».

قالَ: فقلتُ: أنظرُ في أمري يا رسولَ الله، ثمَّ أعلمكَ ذلكَ.

قالَ: ففكّرتُ في نفسي، فعرفتُ أنَّ الدّنيا منقطعةٌ زائلةٌ، وأنَّ لي فيها رزقاً سيكفيني، ويأتيني، فقلتُ: أسألُ رسولَ الله ﷺ لآخرتي، فإنّهُ منَ الله عَزَّوَجَلَّ بالمنزلِ الّذي هوَ بهِ.

قالَ: فجئتُ فقالَ: «**ما فعلتَ يا ربيعةُ؟**».

فقلتُ: نعمْ يا رسولَ الله أسألكَ أنْ تشفعَ لي إلى ربّكَ، فيعتقني منَ النّارِ.

قالَ: فقالَ: «**منْ أمركَ بهذا يا ربيعةُ؟**».

قالَ: فقلتُ: لا والله الّذي بعثك بالحقِّ ما أمرني بهِ أحدٌ، ولكنّكَ لمّا قلتَ: «**سلني أعطكَ**»، وكنتَ منَ الله بالمنزلِ الّذي أنتَ بهِ، نظرتُ في أمري، وعرفتُ أنَّ الدّنيا منقطعةٌ، وزائلةٌ، وأنَّ لي فيها رزقاً سيأتيني، فقلتُ: أسألُ رسولَ الله ﷺ لآخرتي.

قالَ: فصمتَ رسولُ الله ﷺ طويلاً ثمَّ قالَ لي: «**إنّي فاعلٌ، فأعنّي على نفسكَ بكثرةِ السّجودِ**»[1].

وكان يشيدُ بفضلهم، وعظيم قدرهم حتى لا يحتقرهم أحدٌ من الناس؛ لفقرهم:

عنْ سهلِ بنِ سعدٍ السّاعديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّهُ قالَ: مرَّ رجلٌ على رسولِ الله ﷺ.

فقالَ: «**ما تقولونَ في هذا؟**».

قالوا: رجلٌ منْ أشرافِ النّاسِ، هذا والله حريٌّ إنْ خطبَ أنْ ينكحَ، وإنْ شفعَ أنْ يشفّعَ، وإنْ قالَ أنْ يستمعَ.

---

(١) رواه أحمد [١٦١٤٣]، وحسّنه الألباني في إرواء الغليل [٢/ ٢٠٩]، وقد سبق.

ثمَّ سكتَ، فمرَّ رجلٌ منْ فقراءِ المسلمينَ، فقالَ: «**ما تقولونَ في هذا؟**».

قالوا: هذا رجلٌ منْ فقراءِ المسلمينَ، هذا حريٌّ إنْ خطبَ أنْ لا ينكحَ، وإنْ شفعَ أنْ لا يشفّعَ، وإنْ قالَ أنْ لا يستمعَ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**هذا خيرٌ منْ ملءِ الأرضِ مثلَ هذا**»[1].

قال ابن حجر: «وفي الحديث بيانُ أنَّ السّيادة بمجرّدِ الدّنيا لا أثر لها، وإنّما الاعتبار في ذلكَ بالآخرةِ، وأنَّ الّذي يفوتهُ الحظُّ منَ الدّنيا يعاض عنهُ بحسنةِ الآخرة»[2].

وعنْ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، أترى كثرةَ المالِ هوَ الغنى؟**».

قلتُ: نعمْ يا رسولَ الله.

قالَ: «**فترى قلّةَ المالِ هوَ الفقرُ؟**».

قلتُ: نعمْ يا رسولَ الله.

قالَ: «**إنّما الغنى غنى القلبِ، والفقرُ فقرُ القلبِ**».

ثمَّ سألني عنْ رجلٍ منْ قريشٍ، فقالَ: «**هلْ تعرفُ فلاناً؟**».

قلتُ: نعمْ يا رسولَ الله.

قالَ: «**فكيفَ تراهُ وتراهُ؟**».

قلتُ: إذا سألَ أعطيَ، وإذا حضرَ أدخلَ.

ثمَّ سألني عنْ رجلٍ منْ أهلِ الصّفّةِ، فقالَ: «**هلْ تعرفُ فلاناً؟**».

قلتُ: لا واللهِ ما أعرفهُ يا رسولَ الله.

قالَ: فما زالَ يحلّيهِ، وينعتهُ حتّى عرفتهُ، فقلتُ: قدْ عرفتهُ يا رسولَ الله.

---

(١) رواه البخاري [٥٠٩١].

(٢) فتح الباري [١١/ ٢٧٨] باختصار.

قالَ: «**فكيفَ تراهُ أوْ تراهُ؟**».

قلتُ: رجلٌ مسكينٌ منْ أهلِ الصّفّةِ.

فقالَ: «**هوَ خيرٌ منْ طلاعِ الأرضِ منَ الآخرِ**».

قلتُ: يا رسولَ الله، أفلا يعطى منْ بعضِ ما يعطى الآخرُ؟

فقالَ: «**إذا أعطيَ خيراً فهوَ أهلهُ، وإنْ صرفَ عنهُ فقدْ أعطيَ حسنةً**»(١).

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**كمْ منْ أشعثَ أغبرَ ذي طمرينِ**(٢) **لا يؤبهُ لهُ لوْ أقسمَ على الله لأبرّهُ، منهمُ البراءُ بنُ مالكٍ**»(٣).

ويرفعُ معنويّاتهم بذكر فضائلهم في الآخرة:

عنْ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عنْ رسولِ الله ﷺ أنّهُ قالَ: «**هلْ تدرونَ أوّلَ منْ يدخلُ الجنّةَ منْ خلقِ الله؟**».

قالوا: الله ورسولهُ أعلمُ.

قالَ: «**أوّلُ منْ يدخلُ الجنّةَ منْ خلقِ الله الفقراءُ المهاجرونَ الّذينَ تسدُّ بهمْ الثّغورُ، ويتّقى بهمُ المكارهُ، ويموتُ أحدهمْ وحاجتهُ في صدرهِ لا يستطيعُ لها قضاءً.**

فيقولُ الله عَزَّوَجَلَّ لمنْ يشاءُ منْ ملائكتهِ: ائتوهمْ، فحيّوهمْ.

فتقولُ الملائكةُ: نحنُ سكّانُ سمائكَ، وخيرتكَ منْ خلقكَ، أفتأمرنا أنْ نأتيَ هؤلاءِ، فنسلّمَ عليهمْ؟

قالَ: إنّهمْ كانوا عباداً يعبدوني لا يشركونَ بي شيئاً، وتسدُّ بهمْ الثّغورُ، ويتّقى بهمُ المكارهُ، ويموتُ أحدهمْ وحاجتهُ في صدرهِ لا يستطيعُ لها قضاءً».

---

(١) رواه ابن حبان [٦٨٥]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٣٢٠٣].

(٢) الطّمر: الثوبُ الخلق. النهاية [٣/ ٣٠٦].

(٣) رواه الترمذي [٣٨٥٤]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٤٥٧٣].

قالَ: «**فتأتيهمُ الملائكةُ عندَ ذلكَ، فيدخلونَ عليهمْ منْ كلِّ بابٍ: «سلامٌ عليكمْ بما صبرتمْ فنعمَ عقبى الدّارِ»**[1].

وقد بشّرهم بأنهم يسبقون الأغنياءَ بدخول الجنة بفارقٍ زمنيٍّ كبيرٍ.

عنْ ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى رسولِ الله ﷺ قالَ: كنتُ قائماً عندَ رسولِ الله ﷺ، فجاءَ حبرٌ منْ أحبارِ اليهودِ، فقالَ: السّلامُ عليكَ يا محمّدُ، فدفعتهُ دفعةً كادَ يصرعُ منها.

فقالَ: لمَ تدفعني؟

فقلتُ: ألا تقولُ: يا رسولَ الله؟

فقالَ اليهوديُّ: إنّما ندعوهُ باسمهِ الّذي سمّاهُ بهِ أهلهُ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اسمي محمّدٌ الّذي سمّاني بهِ أهلي**».

فقالَ اليهوديُّ: جئتُ أسألكَ.

فقالَ لهُ رسولُ الله ﷺ: «**أينفعكَ شيءٌ إنْ حدّثتكَ؟**».

قالَ: أسمعُ بأذنيَّ.

فنكتَ رسولُ الله ﷺ بعودٍ معهُ، فقالَ: «**سلْ**».

فقالَ اليهوديُّ: أينَ يكونُ النّاسُ يومَ تبدّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسّمواتُ؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**همْ في الظّلمةِ دونَ الجسرِ**».

قالَ: فمنْ أوّلُ النّاسِ إجازةً؟

قالَ: «**فقراءُ المهاجرينَ**»...الحديث[2].

وعن أبي عبدِ الرّحمنِ الحبليِّ قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ عمرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -سألهُ رجلٌ فقالَ: ألسنا منْ فقراءِ المهاجرينَ؟- فقالَ لهُ عبدُ الله: ألكَ امرأةٌ تأوي إليها؟.

---

(١) رواه أحمد [٦٥٣٤]، وصححه الألباني في التعليقات الحسان [٧٣٧٨].

(٢) رواه مسلم [٣١٥].

قالَ: نعمْ.

قالَ: ألكَ مسكنٌ تسكنهُ؟.

قالَ: نعمْ.

قالَ: فأنتَ منَ الأغنياءِ.

قالَ: فإنَّ لي خادماً.

قالَ: فأنتَ منْ الملوكِ.

قالَ أبو عبدِ الرّحمنِ: وجاءَ ثلاثةُ نفرٍ إلى عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ وأنا عندهُ، فقالوا: يا أبا محمّدٍ، إنّا والله ما نقدرُ على شيءٍ، لا نفقةٍ، ولا دابّةٍ، ولا متاعٍ. فقالَ لهمْ: ما شئتمْ، إنْ شئتمْ رجعتمْ إلينا، فأعطيناكمْ ما يسّرَ الله لكمْ، وإنْ شئتمْ ذكرنا أمركمْ للسّلطانِ، وإنْ شئتمْ صبرتمْ، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **«إنَّ فقراءَ المهاجرينَ يسبقونَ الأغنياءَ يومَ القيامةِ إلى الجنّةِ بأربعينَ خريفاً»**.

قالوا: فإنّا نصبرُ، لا نسألُ شيئاً[1].

وعنْ عبدِ الله بنِ عمرو رضي الله عنهما قالَ: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: **«أتعلمُ أوّلَ زمرةٍ تدخلُ الجنّةِ منْ أمّتي؟»**.

قالَ: الله ورسولهُ أعلمُ.

فقالَ: **«المهاجرونَ، يأتونَ يومَ القيامةِ إلى بابِ الجنّةِ، ويستفتحونَ، فيقولُ لهمُ الخزنةُ: أوَ قدْ حوسبتمْ؟ فيقولونَ: بأيِّ شيءٍ نحاسبُ؟ وإنّما كانتْ أسيافنا على عواتقنا في سبيلِ الله حتّى متنا على ذلكَ»**.

قالَ: **«فيفتحُ لهمْ، فيقيلونَ فيهِ أربعينَ عاماً قبلَ أنْ يدخلها النّاسُ»**[2].

---

(١) رواه مسلم [٢٩٧٩].

(٢) رواه الحاكم [٢٣٨٩]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٩٦].

وعنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يدخلُ فقراءُ المسلمينَ الجنّةَ قبلَ أغنيائهمْ بنصفِ يومٍ، وهوَ خمسمائةِ عامٍ**»(١).

تنبيه: دلَّ حديثُ ابنِ عمرو على أن السبق بأربعين عاماً، ودلَّ حديثُ أبي هريرة على أن السبقَ بخمسمائةِ عامٍ، والجمعُ بينهما بأمورٍ:

١. أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنياء المهاجرين بأربعين خريفاً، ويسبق سائرُ الفقراءِ سائرَ الأغنياء بخمسمائة عام.

فقد بوّبَ ابنُ حبان لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «ذكرُ تفضّلِ الله جلَّ وعلا على فقراءِ المهاجرين بإدخالهم الجنةَ قبل أغنيائهم بمددٍ معلومة»(٢).

وبوّب لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «ذكر تفضّل الله جل وعلا على فقراءِ هذه الأمة الصابرين على ما أوتوا بإدخالهم الجنة قبل أغنيائهم بمدد معلومة»(٣).

٢. قال البيهقي: «اختلفت الروايات في هذه المواقيت فإن كانت كلّها محفوظةً، فيحتملُ أن يكون اختلافها باختلافِ درجاتِ الفقراء، ومنازلهم من الطاعة»(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي في الصحيحِ أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً، فإما أن يكون هو المحفوظَ، وإمّا أن يكون كلاهما محفوظاً، وتختلفُ مدّةُ السبق بحسب أحوالِ الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبقُ بأربعين، ومنهم من يسبقُ بخمسمائة، كما يتأخّرُ مكثُ العصاة من الموحّدين في النار بحسب أحوالهم. والله أعلم»(٥).

٣. أن الخمسمائة عام باعتبار أوّلِ الفقراء، وآخر الأغنياء(٦).

---

(١) رواه الترمذي [٢٣٥٤]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٨٠٧٦].

(٢) صحيح ابن حبان [٢/ ٤٥٢].

(٣) نفسه [٢/ ٤٥١].

(٤) البعث والنشور [٤٢٦].

(٥) حادي الأرواح [٨١].

(٦) انظر: النهاية في الفتن والملاحم [١/ ٢٧٣].

وعنْ عبدِ الله بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كنتُ عندَ رسولِ الله ﷺ، وطلعتْ الشّمسُ، فقالَ: «**يأتي الله قومٌ يومَ القيامةِ نورهمْ كنورِ الشّمسِ**».

فقالَ أبو بكرٍ: أنحنُ همْ يا رسولَ الله؟

قالَ: «**لا، ولكمْ خيرٌ كثيرٌ، ولكنّهمْ الفقراءُ والمهاجرونَ الّذينَ يحشرونَ منْ أقطارِ الأرضِ**».

وقالَ: «**طوبى للغرباءِ، طوبى للغرباءِ، طوبى للغرباءِ**»، فقيلَ: منْ الغرباءُ يا رسولَ الله؟ قالَ: «**ناسٌ صالحونَ في ناسِ سوءٍ كثيرٍ، منْ يعصيهمْ أكثرُ ممّنْ يطيعهمْ**»[١].

وأخبرهم بأنهم أكثرُ أهل الجنة:

فعنْ عمرانَ بنِ حصينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النّبيِّ ﷺ قالَ: «**اطّلعتُ في الجنّةِ فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراءَ، واطّلعتُ في النّارِ، فرأيتُ أكثرَ أهلها النّساءَ**»[٢].

فهذا تعزيزٌ نفسيٌّ للفقراءِ الذين فاتتهمُ الدنيا، والأموال.

قال ابن بطال: «ليسَ قوله: «**اطّلعت في الجنّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**» يوجب فضل الفقير على الغنيِّ، وإنّما معناهُ: أنَّ الفقراءَ في الدّنيا أكثر منَ الأغنياء، فأخبرَ عنْ ذلكَ كما تقول: أكثر أهل الدّنيا الفقراء إخباراً عنِ الحال.

وليسَ الفقرُ أدخلهمُ الجنّةَ، وإنّما دخلوا بصلاحهمْ معَ الفقرِ، فإنَّ الفقيرَ إذا لمْ يكنْ صالحاً لا يفضل»[٣].

وقال عن كفران العشير: «بيّنَ لهمْ رسولُ الله ﷺ أنه أرادَ كفرهنَّ حقَّ أزواجهنَّ، وذلك لا محالةَ ينقصُ من إيمانهنَّ، ودلَّ ذلك أن إيمانهنَّ يزيدُ بشكرهنَّ العشيرَ، وبأفعال البرِّ كلّها، فثبتَ أن الأعمالَ من الإيمانِ، وأنه قولٌ وعملٌ، إذ بالعملِ الصالحِ يزيدُ، وبالعملِ السيّئ ينقصُ.

---

(١) رواه أحمد [٧٠٣٢]، وقال الألباني: «صحيح لغيره». صحيح الترغيب والترهيب [٣١٨٨].

(٢) رواه البخاري [٣٢٤١]، ومسلم [٢٧٣٧].

(٣) شرح ابن بطال على صحيح البخاري [١٠/ ١٧٣].

وفيهِ: دليلٌ أن المرءَ يعذّبُ على الجحد للفضلِ، والإحسانِ، وشكرِ المنعمِ»[١].

وعنْ أسامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النّبيَّ ﷺ قالَ: «**قمتُ على بابِ الجنّةِ، فكانَ عامّةَ منْ دخلها المساكينُ، وأصحابُ الجدِّ محبوسونَ، غيرَ أنَّ أصحابَ النّارِ قدْ أمرَ بهمْ إلى النّارِ**»[٢].

قال ابن حجر: «(محبوسونَ) أيْ: ممنوعونَ منْ دخول الجنّة معَ الفقراء؛ منْ أجل المحاسبة على المال، وكأنَّ ذلكَ عند القنطرة الّتي يتقاصّونَ فيها بعد الجواز على الصّراط»[٣].

وعن مالكِ بنِ دينارٍ قال: قدمتُ من سفرٍ لي، فلمّا صرتُ بالجسرِ قامَ العشّار [أي: جامع الضرائب، أو الجمارك]، فقال: لا يخرجنَّ من السفينةِ، ولا يقومُ أحدٌ من مكانه، فأخذتُ ثوبي، فوضعته على عنقي، ثم وثبتُ، فإذا أنا على الأرضِ.

فقال لي: ما أخرجك؟

قلتُ: ليسَ معي شيءٌ.

قال: اذهبْ.

فقلتُ في نفسي: هكذا أمر الآخرة[٤].

وكان يطلبُ حضورهم استنزالاً للنصر، والرزق بدعائهم:

كان ﷺ يرغبُ في الفقراء، يرغبُ في قربهم، وأن يكونَ معهم.

عنْ أبي الدّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «**ابغوني ضعفاءكمْ؛ فإنّما ترزقونَ، وتنصرونَ بضعفائكمْ**»[٥].

---

(١) شرح ابن بطال على صحيح البخاري [١/ ٨٩].

(٢) رواه البخاري [٥١٩٦]، ومسلم [٤٩١٩].

(٣) فتح الباري [١١/ ٤٢٠].

(٤) يعني: أن الفقير يخفُّ حسابه؛ لأنه لا يملكُ مالًا يحاسبُ عليه. صفة الصفوة [٣/ ٢٧٧].

(٥) رواه أبو داود [٢٥٩٤]، والترمذي [١٧٠٢]، وصحّحه الألباني في الصحيحة [٧٧٩].

«**ابغوني**» أيْ: اطلبوهم لي، أستعين بهمْ.

«**الضّعفاء**» أيْ: صعاليك المسلمينَ، وهمْ منْ يستضعفهمُ النّاس لرثاثةِ حالهمْ.

«**تنصرونَ**» أيْ: تعاونونَ على عدوّكمْ، بسببهمْ، أوْ ببركةِ دعائهمْ.

وقد رأى سعدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ لهُ فضلاً على منْ دونهُ، فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**هلْ تنصرونَ، وترزقونَ، إلّا بضعفائكمْ**»(١).

وفي رواية: «**إنّما ينصرُ الله هذهِ الأمّةَ بضعيفها، بدعوتهمْ، وصلاتهمْ، وإخلاصهمْ**»(٢).

ومعناهُ أنَّ عبادة الضّعفاء ودعاءهمْ أشدّ إخلاصاً لجلاءِ قلوبهمْ منَ التّعلّق بزخرفِ الدّنيا وجعلوا همّهمْ واحد فأجيبَ دعاؤهمْ وزكتْ أعمالهمْ(٣).

وكان ﷺ يأمر باحترامهم وتقديرهم:

ومن صورِ ذلك: نهيه عن إطعامهم من الطعام الذي لا يرغبه الناس.

عنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسولَ الله ﷺ أهديَ إليهِ ضبٌّ، فلمْ يأكلهُ، قالتْ عائشةُ: فقلتُ: يا رسولَ الله ألا أطعمهُ المساكينَ؟

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**لا تطعموهمْ ممّا لا تأكلونَ**»(٤).

وفي هذا تطبيق لأمر الله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

عنِ البراءِ بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾، قالَ: نزلتْ فينا معشرَ الأنصارِ.

---

(١) رواه البخاري [٢٨٩٦].

(٢) رواه النسائي [٣١٧٨]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٦].

(٣) ينظر: فتح الباري [٦/ ٨٩]، شرح ابن بطال على صحيح البخاري [٥/ ٩٠]، عون المعبود [٧/ ٢٥٦].

(٤) رواه أحمد [٢٤٢١٥]، وحسّنه الألباني في الصحيحة [٢٤٢٦].

كنّا أصحابَ نخلٍ، فكانَ الرّجلُ يأتي منْ نخلهِ على قدرِ كثرتهِ وقلّتهِ، وكانَ الرّجلُ يأتي بالقنوِ[١] والقنوينِ، فيعلّقهُ في المسجدِ.

وكانَ أهلُ الصّفّة ليسَ لهمْ طعامٌ، فكانَ أحدهمْ إذا جاعَ أتى القنوَ، فضربهُ بعصاهُ، فيسقطُ منَ البسرِ والتّمرِ فيأكلُ.

وكانَ ناسٌ ممّنْ لا يرغبُ في الخيرِ يأتي الرّجلُ بالقنوِ فيهِ الشّيصُ[٢]، والحشفُ[٣]، وبالقنوِ قدْ انكسرَ، فيعلّقهُ؛ فأنزلَ الله تباركَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾، قالَ: لوْ أنَّ أحدكمْ أهديَ إليهِ مثلُ ما أعطاهُ لمْ يأخذهُ إلّا على إغماضٍ، أوْ حياءٍ.

قالَ: فكنّا بعدَ ذلكَ يأتي أحدنا بصالحِ ما عندهُ[٤].

موقف لأحدِ السلف: عنْ منذرٍ الثّوريِّ: أنَّ الرّبيعَ بن خثيم أخذَ يطعمُ مصاباً [أي: في عقله] خبيصاً[٥]، فقيلَ لهُ: ما يدريهِ ما أكلَ؟

فقالَ: «لكنَّ الله يدري!»[٦].

ومن ذلك: نهيه عن تجاهلهم في الولائم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**شرُّ الطّعامِ طعامُ الوليمةِ، يدعى لها الأغنياءُ، ويتركُ الفقراءُ، ومنْ تركَ الدّعوةَ فقدْ عصى الله ورسولهُ**»[٧].

---

(١) القنو: العذق بما فيه من الرّطب. النهاية [٤/ ١٩٢].

(٢) الشّيصُ والشّيصاءُ رديء التمر. لسان العرب [٧/ ٥٠].

(٣) الحشف: اليابس الفاسد من التمر. النهاية [١/ ٣٩١].

(٤) رواه الترمذي [٢٩٨٧]، وابن ماجة [١٨٢٢]، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة [١٨٢٢].

(٥) وهي نوع من أجود أنواع الحلوى.

(٦) سير أعلام النبلاء [٧/ ٢٩٠].

(٧) رواه البخاري [٥١٧٧]، ومسلم [١٤٣٢]، وله حكم الرفع، وقد صّرح مسلم برفعه في إحدى رواياته.

قال النووي: «ومعنى هذا الحديث: الإخبارُ بما يقع مِنَ النّاس بعده ﷺ مِنْ مراعاةِ الأغنياءِ في الولائم، ونحوها، وتخصيصهمْ بالدّعوةِ، وإيثارهمْ بطيّبِ الطّعام، ورفع مجالسهمْ، وتقديمهمْ، وغير ذلكَ ممّا هوَ الغالب في الولائم. والله المستعان»[1].

فإذا دعيتْ إلى وليمةٍ فلابد أن تجيبَ إذا لم يكن فيها منكراتٌ.

ولكن للأسفِ نرى الولائمَ يدعى إليها الأغنياءُ الذين ليسَ لهم إلى ما فيها من الطعامِ حاجةٌ، ويتركُ الفقراءُ الذين هم في أمسِّ الحاجةِ لأكلةٍ طيّبةٍ يقيمون بها أودهم.

فيا صاحب الوليمة، لا تنسَ الفقراءَ، ليكنْ للفقراءِ نصيبٌ من وليمتكَ.

وكان يحثّهم على التعفّف:

وكان ﷺ يعطي من سأله عن حاجة وفاقة ولو تكرّرت مسألته، وربما بيّن له أن التعفّف أولى وأفضل:

إن من الصفاتِ التي امتدحَ الله بها المؤمنينَ في كتابه: التعفّف، وهو تكلّفُ العفّةِ، والعفّةُ هي الكفُّ عما لا يحلُّ ولا يجملُ، والكفُّ عن سؤالِ الناسِ[2].

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

قال الطبريُّ: «﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ يعني بذلك: يحسبهم الجاهلُ بأمرهم وحالهم أغنياءَ من تعفّفهم عن المسألةِ، وتركهم التعرّضَ لما في أيدي الناسِ، صبراً منهم على البأساءِ والضرّاءِ.

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: تعرفهم يا محمدُ بعلامتهم وآثارهم كالتخشّع والتواضع، أو جهدِ الحاجةِ في وجوههم، أو رثاثةِ الثيابِ، أو نحو ذلك.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم [٩/ ٢٣٧].

(٢) ينظر: لسان العرب [٩/ ٢٥٣].

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ يقال: قد ألحفَ السائلُ في مسألته إذا ألحَّ.

فإن قال قائل: أفكانَ هؤلاءِ القومُ يسألونَ الناسَ من غيرَ إلحافٍ؟

قيل: بل لا يسألون الناسَ أصلاً، وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ وصفهم بأنهم أهلُ تعفّفٍ، وأنهم إنما كانوا يعرفون بسيماهم. فلو كانتِ المسألةُ من شأنهم، لم تكن صفتهم التعفّف.

ولكنَّ المعنى مدحهم بنفي الشّرهِ التي تكون في الملحّين عنهم»[١].

وقد كان النبيُّ ﷺ يربّي أصحابه على هذه الصّفة الجميلةِ. عنْ حكيمَ بنَ حزامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ، فأعطاني.

ثمَّ سألتهُ، فأعطاني. ثمَّ سألتهُ، فأعطاني.

ثمَّ قالَ: «**يا حكيمُ إنَّ هذا المالَ خضرةٌ حلوةٌ**[٢] **فمنْ أخذهُ بسخاوةِ نفسٍ**[٣]**؛ بورك لهُ فيهِ ومنْ أخذهُ بإشرافِ نفسٍ؛ لمْ يباركْ لهُ فيهِ كالّذي يأكلُ، ولا يشبعُ. اليدُ العليا خيرٌ منْ اليدِ السّفلى**».

قالَ حكيمٌ: فقلتُ: يا رسولَ الله، والّذي بعثكَ بالحقِّ لا أرزأُ أحداً[٤] بعدكَ شيئاً حتّى أفارقَ الدّنيا.

فكانَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعو حكيماً إلى العطاءِ، فيأبى أنْ يقبلهُ منهُ.

ثمَّ إنَّ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاهُ؛ ليعطيهُ، فأبى أنْ يقبلَ منهُ شيئاً.

فقالَ عمرُ: إنّي أشهدكمْ يا معشرَ المسلمينَ، على حكيمٍ أنّي أعرضُ عليهِ حقّهُ منْ هذا الفيءِ، فيأبى أنْ يأخذهُ.

---

(١) تفسير الطبري [٥/ ٥٩٣-٦٠٠] باختصار وتصّرف.

(٢) أنّثَ الخبَر لأنَّ المرادَ الدّنيا

(٣) أيْ: بغيرِ شرهٍ ولا إلحاح أيْ: منْ أخذه بغيرِ سؤال.

(٤) لا أنقصُ مالهُ بالطّلبِ منهُ.

فلمْ يرزأْ حكيمٌ أحداً منَ النّاسِ بعدَ رسولِ الله ﷺ حتّى توفّيَ[١].

قال الحافظ ابن حجر: «وإنّما امتنعَ حكيمٌ منْ أخذِ العطاءِ معَ أنّهُ حقّهُ لأنّهُ خشيَ أنْ يقبلَ منْ أحدٍ شيئاً، فيعتادُ الأخذَ، فتتجاوزُ بهِ نفسه إلى ما لا يريدهُ، ففطمها عنْ ذلكَ، وتركَ ما يريبهُ إلى ما لا يريبهُ.

وإنّما أشهدَ عليهِ عمر؛ لأنّهُ أرادَ أنْ لا ينسبهُ أحدٌ لمْ يعرفْ باطنَ الأمرِ إلى منعِ حكيمٍ منْ حقّهِ»[٢].

وإذا لم يكن عندَ النبيِّ ﷺ ما يعينُ به الفقراء قابلهم بالقول الجميل، واعتذر منهم بأحسن عذرٍ:

كما قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ ناساً منَ الأنصارِ سألوا رسولَ الله ﷺ، فأعطاهمْ، ثمَّ سألوهُ، فأعطاهمْ، ثمَّ سألوهُ، **فأعطاهمْ حتّى نفدَ ما عندهُ.**

فقالَ: «**ما يكونُ عندي منْ خيرٍ فلنْ أدّخرهُ عنكمْ، ومنْ يستعففْ يعفّهُ الله، ومنْ يستغنِ يغنهِ الله، ومنْ يتصبّرْ يصبّرهُ الله، وما أعطيَ أحدٌ عطاءً خيراً وأوسعَ منَ الصّبرِ**»[٣].

«**ومنْ يستعففْ يعفّهُ الله**» أي: من يمتنعُ عن السؤالِ يجازيه الله على استعفافه بصيانةِ وجهه، ودفع فاقته.

«**ومنْ يستغنِ**»، أي: بالله عمن سواه «**يغنهِ الله**» يعطيه ما يستغني به عن السؤال[٤].

ومن ذلك قصة الذين جاءوا النبيَّ ﷺ حينَ خروجه لغزوةِ تبوكَ يطلبونَ منهُ أن يعطيهم دوابَّ يجاهدون عليها، فاعتذرَ لهم بأنه لا يجد دوابَّ يحملهم عليها.

---

(١) رواه البخاري [١٤٧٢]، ومسلم [١٠٣٥].

(٢) فتح الباري [٣/ ٣٣٦].

(٣) رواه البخاري [١٤٦٩] ومسلم [١٠٥٣].

(٤) فتح الباري [١١/ ٣٠٤].

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١-٩٢].

عنْ أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيتُ النّبيَّ ﷺ في نفرٍ منَ الأشعريّينَ نستحملهُ[١].

فقالَ: «**والله لا أحملكمْ، وما عندي ما أحملكمْ عليهِ**».

قالَ: فلبثنا ما شاءَ الله، ثمَّ أتيَ بإبلٍ، فأمرَ لنا بثلاثِ ذودٍ[٢] غرِّ الذّرى[٣].

فلمّا انطلقنا قلنا، أوْ قالَ بعضنا لبعضٍ: لا يباركُ الله لنا، أتينا رسولَ الله ﷺ نستحملهُ، فحلفَ أنْ لا يحملنا، ثمَّ حملنا، فأتوهُ فأخبروهُ.

فقالَ: «**ما أنا حملتكمْ، ولكنَّ الله حملكمْ، وإنّي والله إنْ شاءَ الله لا أحلفُ على يمينٍ، ثمَّ أرى خيراً منها إلّا كفّرتُ عنْ يميني، وأتيتُ الّذي هوَ خيرٌ**»[٤].

وكان يقدّم حاجةَ الفقراء على حاجةِ أهل بيته:

عنْ عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ فاطمةَ شكتْ ما تلقى في يدها منَ الرّحى، فأتتِ النّبيَّ ﷺ تسألهُ خادماً. فلمْ تجدهُ، فذكرتْ ذلكَ لعائشةَ، فلمّا جاءَ أخبرتهُ.

قالَ: فجاءنا وقدْ أخذنا مضاجعنا، فذهبنا لنقومَ.

فقالَ: «**على مكانكما**»، فجلسَ بيننا حتّى وجدتُ بردَ قدميهِ على صدري. فقالَ: «**ألا أدلّكما على ما هوَ خيرٌ لكما منْ خادمٍ إذا أويتما إلى فراشكما، أوْ أخذتما مضاجعكما؛ فكبّرا ثلاثاً وثلاثينَ، وسبّحا ثلاثاً وثلاثينَ، واحمدا ثلاثاً وثلاثينَ، فهذا خيرٌ لكما منْ خادمٍ**»[٥].

---

(١) أي: نطلبُ منه ما يحملنا من الإبل، ويحمل أثقالنا.

(٢) الذود: الإبل من الثلاث إلى العشر.

(٣) أي: بيض الأسنمة.

(٤) رواه البخاري [٣١٣٣]، ومسلم [١٦٤٩].

(٥) رواه البخاري [٣١١٣] ومسلم [٢٧٢٧].

وفي رواية عنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لا أعطيكمْ وأدعُ أهلَ الصّفّةِ تلوّى بطونهمْ منَ الجوعِ**»، وقالَ مرّةً: «**لا أخدمكما، وأدعُ أهلَ الصّفّةِ تطوى**»(١).

قالَ المهلّب: «علّمَ ﷺ ابنته منَ الذّكر ما هوَ أكثر نفعاً لها في الآخرة، وآثرَ أهل الصّفّة؛ لأنّهمْ كانوا وقفوا أنفسهمْ لسماعِ العلم، وضبط السّنّةِ على شبع بطونهمْ لا يرغبونَ في كسب مال ولا في عيال، ولكنّهمُ اشتروا أنفسهمْ منَ الله بالقوتِ»(٢).

وكان يعينُ الفقراء بالدّلالة على وجوه التكسّب، ويحذّرهم من المسألة:

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**منْ سألَ النّاسَ أموالهمْ تكثّراً؛ فإنّما يسألُ جمراً، فليستقلَّ، أوْ ليستكثرْ**»(٣).

وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**والّذي نفسي بيدهِ لأنْ يأخذَ أحدكمْ حبلهُ، فيحتطبَ على ظهرهِ خيرٌ لهُ منْ أنْ يأتيَ رجلاً، فيسألهُ أعطاهُ أوْ منعهُ**»(٤).

فمهنةُ الاحتطابِ على ما فيها من مشقّةٍ، وما تحوي من نظرات الازدراءِ، وما يرجى فيها من ربحٍ ضئيلٍ خيرٌ من البطالةِ، وتكفّف الناس.

وقد شجّعُ النبيُّ ﷺ، ودلَّ على وجوه العمل الشريف مثل:

- **الزراعة:**

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**ما منْ مسلمٍ يغرسُ غرساً، أوْ يزرعُ زرعاً، فيأكلُ منهُ طيرٌ، أوْ إنسانٌ، أوْ بهيمةٌ إلّا كانَ لهُ بهِ صدقةٌ**»(٥).

قال النووي: «في هذهِ الأحاديث: فضيلة الغرسِ، وفضيلة الزّرعِ، وأنَّ أجرَ فاعلي ذلكَ مستمرٌّ ما دامَ الغراسُ والزّرعُ، وما تولّدَ منهُ إلى يوم القيامة»(٦).

---

(١) رواه أحمد [٥٩٧]، وصححه أحمد شاكر والأرناؤوط.

(٢) فتح الباري [١١/ ١٢٤].

(٣) رواه مسلم [١٠٤١].

(٤) رواه البخاري [١٤٧٠]، ومسلم [١٠٤٢].

(٥) رواه البخاري [٢٣٢٠]، ومسلم [١٥٥٣].

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم [١٠/ ٢١٣].

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**إنْ قامتِ السّاعةُ، وبيدِ أحدكمْ فسيلةٌ**[١]**، فإنِ استطاعَ أنْ لا يقومَ حتّى يغرسها؛ فليفعلْ**»[٢].

- **الصناعة:**

عنِ المقدامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنْ رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أنْ يأكلَ من عملِ يدِهِ، وإنَّ نبيَّ الله داودَ عليه السّلام كان يأكلُ من عملِ يدِهِ**»[٣].

قالَ ابنُ حجرٍ: «الحكمةُ في تخصيصِ داودَ بالذّكرِ أنَّ اقتصارَه في أكلِهِ على ما يعملهُ بيدِهِ لمْ يكنْ منَ الحاجةِ؛ لأنّهُ كانَ خليفةً في الأرضِ كما قالَ الله تعالى.

وإنّما ابتغى الأكلَ منْ طريقِ الأفضلِ؛ ولهذا أوردَ النّبيُّ ﷺ قصّتهُ في مقامِ الاحتجاجِ بها على ما قدّمهُ منْ أنَّ خيرَ الكسبِ عملُ اليدِ»[٤].

- **التجارة:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩].

عنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كانتْ عكاظُ ومجنّةُ وذو المجازِ أسواقاً في الجاهليّةِ، فتأثّموا أنْ يتّجروا في المواسمِ؛ فنزلتْ: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٨][٥].

تنبيه: قوله: «في مواسمِ الحجِّ» هي قراءةُ ابن عبّاسٍ، وهي قراءةٌ شاذّة، وحكمها عند الأئمة حكمُ التفسير[٦].

عنْ عروةَ البارقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النّبيَّ ﷺ أعطاهُ ديناراً يشتري لهُ بهِ شاةً، فاشترى لهُ بهِ

---

(١) الفسيلة: الصغيرة من النخل. لسان العرب [١١/ ٥١٩].

(٢) رواه أحمد [١٢٥٦٩]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [١٤٢٤].

(٣) رواه البخاري [١٩٦٦].

(٤) فتح الباري [٤/ ٣٠٦].

(٥) رواه البخاري [٤٥١٩].

(٦) فتح الباري [٣/ ٥٩٥].

شـاتينِ، فباعَ إحداهما بدينارٍ، وجاءهُ بدينارٍ وشـاةٍ، فدعا لهُ بالبركةِ في بيعهِ، فقالَ لهُ: «**باركَ الله لكَ في صفقةِ يمينكَ**».

فكانَ لوْ اشترى التّرابَ لربحَ فيهِ[١].

- **ولقد عمل الأنبياءُ في أعمالٍ وحرفٍ عدّةٍ، منها: رعي الأغنام:**

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النّبيِّ ﷺ قالَ: «**ما بعثَ الله نبيّاً إلّا رعى الغنمَ**».

فقالَ أصحابهُ: وأنتَ؟ فقالَ: «**نعمْ، كنتُ أرعاها على قراريطَ لأهلِ مكّةَ**»[٢].

- **الحدادة:**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠-١١].

- **النّجارة:**

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**كانَ زكريّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نجّاراً**»[٣].

من فوائد الحديث:

فيهِ: جوازُ الصّنائع.

وفيهِ: أنَّ النّجارة لا تسقط المروءة، وأنّها صنعة فاضلة.

وفيهِ: فضيلةٌ لزكريّا ﷺ، فإنّهُ كانَ صانعاً يأكل منْ كسبه[٤].

وهكذا فعلَ ورثةُ الأنبياءِ من العلماء الربانيّينَ، فاشتهرتْ أسماءٌ تدلُّ على الصنائع أمثال: البزّاز، الجصّاص، الخوّاص، الجزّار، الزجّاج، الحدّاد، الحذّاء...وغيرها.

وأما الكسلُ والقعود عن العمل مع القدرة فهو مذمومٌ؛ ولهذا لم يجعلِ الرسولُ ﷺ لبطّالٍ

---

(١) رواه البخاري [٣٦٤٣] والترمذي [١٢٥٨]، والزيادة للترمذي.

(٢) رواه البخاري [٢٢٦٢]. وقوله: «على قراريط» يعني كلّ شاة بقيراطٍ، وهوَ جزء منْ الدّينار أوْ الدّرهم.

(٣) رواه مسلم [٢٣٧٩].

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم [١٥/ ١٣٥].

كسولٍ حقّاً في صدقاتِ المسلمين؛ وذلك ليدفعَ القادرين إلى العملِ، والكسبِ الحلالِ، فقالَ: «**لا تحلُّ الصّدقةُ لغنيٍّ، ولا لذي مرّةٍ[١] سويٍّ[٢]**»[٣].

وقال عبد الله بن مسعود: «إنّي لأمقتُ الرّجلَ أنْ أراهُ فارغاً ليسَ في شيءٍ منْ عملِ الدّنيا، ولا عملِ الآخرةِ»[٤].

وقال سفيانُ الثوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عليكَ بعملِ الأبطالِ: الكسبِ منَ الحلالِ، والإنفاقِ على العيالِ»[٥].

ويقول المثل العربيُّ: «احفرْ بيراً، وطمَّ بيراً؛ ولا تعطّلْ أجيراً»[٦]. أي: لابد أن تشغّل الشبابَ، وتعوّدهم على العمل، وألّا يأخذوا المالَ بلا مقابل، حتى لو اضطررتَ إلى أن تشغّلهم في عمل لا فائدةَ فيه، فتعويدهم على العمل والجدِّ وترك البطالة يعدُّ من أعظم الفوائد.

يقول الشاعر:

اهجرِ النّومَ في طلابِ العلاءِ ... وصلِ الصّبحَ دائباً بالمساءِ
والتمسْ بالمسيرِ في كلِّ قطرٍ ... رتبةَ العارفينَ والحكماءِ
إنَّ أمضى الرّجالِ منْ كانَ سهماً ... نافذاً في حشاشةِ الغبراءِ
إنّما الأرضُ والفضاءُ كتابٌ ... فاقرءوهُ معاشرَ الأذكياءِ

وبيّن لهم من هو المسكين الحقيقيُّ فقال: «ليسَ المسكينُ الّذي يطوفُ على النّاسِ تردّهُ اللّقمةُ واللّقمتانِ، والتّمرةُ والتّمرتانِ».

قالوا: فما المسكينُ يا رسولَ الله؟.

قالَ: «**الّذي لا يجدُ غنًى يغنيهِ، ولا يفطنُ لهُ؛ فيتصدّقَ عليهِ، ولا يقومُ فيسألُ النّاسَ**»[٧].

---

(١) أي: قوّةٍ.

(٢) أي: صحيح البدن.

(٣) رواه الترمذي [٦٥٢]، وأبو داود [١٦٣٤] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في الإرواء [٨٧٧].

(٤) رواه ابن أبي شيبة [٣٤٥٦٢].

(٥) حلية الأولياء [٦/ ٣٨١].

(٦) مجمع الأمثال [١/ ٢٣٠].

(٧) رواه البخاري [١٤٧٦] ومسلم [١٠٣٩] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**ليسَ المسكينُ الّذي يطوفُ على النّاسِ**»، معناهُ: المسكين الكامل المسكنة الّذي هوَ أحقُّ بالصّدقةِ، وأحوج إليها ليسَ هوَ هذا الطّوّاف، بلْ هوَ الّذي لا يجد غنًى يغنيهِ، ولا يفطنُ لهُ ولا يسأل النّاس، وليسَ معناهُ نفيَ أصل المسكنة عنِ الطّواف، بلْ معناهُ نفي كمال المسكنة[١].

ومع ذلك أمرَ بإعطاء السائلِ، ولو شيئاً يسيراً:

للسائل حقٌّ؛ كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥].

قال السعدي: «﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ﴾ واجبٌ، ومستحبٌّ ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾، أيْ: للمحتاجينَ الذينَ يطلبونَ من الناسِ، والذين لا يطلبونَ منهم»[٢].

لذا كانَ النبيُّ ﷺ يحثُّ على إعطائه، ولو شيئا يسيراً. عنْ عبدِ الرّحمنِ بنِ بجيدٍ عنْ جدّتهِ أمِّ بجيدٍ -وكانتْ ممّنْ بايعَ رسولَ الله ﷺ- أنّها قالتْ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ المسكينَ ليقومُ على بابي، فما أجدُ لهُ شيئاً أعطيهِ إيّاهُ.

فقالَ لها رسولُ الله ﷺ: «**إنْ لمْ تجدي شيئاً تعطينهُ إيّاهُ إلّا ظلفاً محرقاً، فادفعيهِ إليهِ في يدهِ**»[٣].

وقوله: «**ظلفاً حرقاً**» قيدُ الإحراقِ مبالغةٌ في ردِّ السّائلِ بأدنى ما يتيسّرُ أيْ: لا تردّيهِ محروماً بلا شيءٍ مهما أمكنَ حتّى إنْ وجدتِ شيئاً حقيراً مثلَ الظّلفِ المحرقِ أعطيهِ إيّاهُ[٤].

وفي رواية عنْ عمرو بنِ معاذٍ الأنصاريِّ قالَ: إنَّ سائلاً وقفَ على بابهمْ، فقالتْ لهُ جدّتهُ حوّاءُ: أطعموهُ تمراً.

قالوا: ليسَ عندنا.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم [٧/ ١٢٩].

(٢) تفسير السعدي [١/ ٨٠٨].

(٣) رواه أبو داود [١٦٦٧]، والترمذي [٦٦٥]، والنسائي [٢٥٧٤]، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع [١٤٤٠].

(٤) تحفة الأحوذي [٣/ ٢٦٨].

قالتْ: فاسقوهُ سويقاً.

قالوا: العجبُ لكِ، نستطيعُ أنْ نطعمهُ ما ليسَ عندنا.

قالتْ: إنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**لا تردّوا السّائلَ ولوْ بظلفٍ محرقٍ**»(١).

وكان ﷺ يسعى في تزويجِ أهل الصلاحِ، والخير منهم:

عنْ أبي برزةَ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كانتِ الأنصارُ إذا كانَ لأحدهمْ أيّمٌ لمْ يزوّجها حتّى يعلمَ هلْ للنّبيِّ ﷺ فيها حاجةٌ أمْ لا؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ لرجلٍ منَ الأنصارِ: «**زوّجني ابنتكَ**».

فقالَ: نعمَّ وكرامةٌ يا رسولَ الله، ونعمَ عيني.

فقالَ: «**إنّي لستُ أريدها لنفسي**».

قالَ: فلمنْ يا رسولَ الله؟

قالَ: «**لجليبيبٍ**».

فقالَ: يا رسولَ الله أشاورُ أمّها.

فأتى أمّها، فقالَ: رسولُ الله ﷺ يخطبُ ابنتكِ.

فقالتْ: نعمَّ، ونعمةُ عيني.

فقالَ: إنّهُ ليسَ يخطبها لنفسهِ، إنّما يخطبها لجليبيبٍ.

فقالتْ: أجليبيبٌ ابنهْ!! أجليبيبٌ ابنهْ!! أجليبيبٌ ابنهْ!! لا لعمرُ الله لا تزوّجهُ.

فلمّا أرادَ أنْ يقومَ؛ ليأتيَ رسولَ الله ﷺ؛ ليخبرهُ بما قالتْ أمّها، قالتِ الجاريةُ: منْ خطبني إليكمْ؟

فأخبرتها أمّها.

---

(١) رواه أحمد [٢٦٦٠٧] وحسّنه شعيب الرناؤوط.

فقالتْ: أتردّونَ على رسولِ الله ﷺ أمرهُ؟

ادفعوني؛ فإنّهُ لمْ يضيّعني.

فانطلقَ أبوها إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرهُ.

قالَ: شأنكَ بها.

فزوّجها جليبيباً.

فخرجَ رسولُ الله ﷺ في غزوةٍ لهُ، فلمّا أفاءَ الله عليهِ قالَ لأصحابهِ: «**هلْ تفقدونَ منْ أحدٍ؟**».

قالوا: نفقدُ فلاناً، ونفقدُ فلاناً.

قالَ: «**انظروا هلْ تفقدونَ منْ أحدٍ؟**».

قالوا: لا.

قالَ: «**لكنّي أفقدُ جليبيباً**».

قالَ: فاطلبوهُ في القتلى.

فطلبوهُ، فوجدوهُ إلى جنبِ سبعةٍ قدْ قتلهمْ، ثمَّ قتلوهُ، فقالوا: يا رسولَ الله ها هوَ ذا إلى جنبِ سبعةٍ قدْ قتلهمْ ثمَّ قتلوهُ.

فأتاهُ النّبيُّ ﷺ فقامَ عليهِ فقالَ: «**قتلَ سبعةً وقتلوهُ، هذا منّي وأنا منهُ، هذا منّي وأنا منهُ**» مرّتينِ أوْ ثلاثاً.

ثمَّ وضعهُ رسولُ الله ﷺ على ساعديهِ، وحفرَ لهُ ما لهُ سريرٌ إلّا ساعدا رسولِ الله ﷺ، ثمَّ وضعهُ في قبرهِ، ولمْ يذكرْ أنّهُ غسّلهُ.

وحدّثَ إسحاقُ بنُ عبدِ الله بنِ أبي طلحةَ ثابتاً قالَ: هلْ تعلمْ ما دعا لها رسولُ الله ﷺ؟

قالَ: «**اللهمَّ صبَّ عليها الخيرَ صبّاً، ولا تجعلْ عيشها كدّاً كدّاً**».

قالَ ثابتٌ: فما كانَ في الأنصارِ أيّمٌ أنفقَ منها[١].

وعن عبدَ المطّلبِ بنَ ربيعةَ بنِ الحارثِ قالَ: اجتمعَ ربيعةُ بنُ الحارثِ [ابنُ عمِّ الرسول ﷺ]، والعبّاسُ بنُ عبدِ المطّلبِ فقالا: واللهِ لوْ بعثنا هذينِ الغلامينِ [المطلب بن ربيعة والفضلِ ابنِ عبّاسٍ] إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فكلّماهُ، فأمّرهما على هذهِ الصّدقاتِ، فأدّيا ما يؤدّي النّاسُ، وأصابا ممّا يصيبُ النّاسُ.

فبينما هما في ذلكَ جاءَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، فوقفَ عليهما، فذكرا لهُ ذلكَ.

فقالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ: لا تفعلا، فوَ اللهِ ما هوَ بفاعلٍ.

فانتحاهُ ربيعةُ بنُ الحارثِ فقالَ: واللهِ ما تصنعُ هذا إلّا نفاسةً منكَ علينا، فواللهِ لقدْ نلتَ صهرَ رسولِ اللهِ ﷺ، فما نفسناهُ عليكَ.

قالَ عليٌّ: أرسلوهما.

فانطلقا.

فألقى عليٌّ رداءهُ، ثمَّ اضطجعَ عليهِ، وقالَ: أنا أبو حسنٍ القرمُ، واللهِ لا أريمُ مكاني حتّى يرجعَ إليكما ابناكما بحورِ ما بعثتما بهِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ[٢].

قالَ: فلمّا صلّى رسولُ اللهِ ﷺ الظّهرَ سبقناهُ إلى الحجرةِ، فقمنا عندها، حتّى جاءَ، فأخذَ بآذاننا، ثمَّ قالَ: «**أخرجا ما تصرّرانِ**». ثمَّ دخلَ ودخلنا عليهِ وهوَ يومئذٍ عندَ زينبَ بنتِ جحشٍ.

فتواكلنا الكلامَ، ثمَّ تكلّمَ أحدنا، فقالَ: يا رسولَ اللهِ أنتَ أبرُّ النّاسِ، وأوصلُ النّاسِ، وقدْ بلغنا النّكاحَ، فجئنا؛ لتؤمّرنا على بعضِ هذهِ الصّدقاتِ، فنؤدّيَ إليكَ كما يؤدّي النّاسُ، ونصيبَ كما يصيبونَ.

---

(١) رواه أحمد [١٩٢٨٥]، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم"، ومن أول قصة الغزوة في صحيح مسلم [٢٤٧٢].

(٢) أيْ: بجوابِ ذلكَ.

فسكتَ طويلاً حتّى أردنا أنْ نكلّمهُ، وجعلتْ زينبُ تلمعُ[١] علينا منْ وراءِ الحجابِ أنْ لا تكلّماهُ.

ثمَّ قالَ: «**إنَّ الصّدقةَ لا تنبغي لآلِ محمّدٍ، إنّما هيَ أوساخُ النّاسِ، وإنّها لا تحلُّ لمحمّدٍ ولا لآلِ محمّدٍ.**

ادعوا لي محميةَ بنَ جزءٍ»، وهوَ رجلٌ منْ بني أسدٍ كانَ رسولُ الله ﷺ استعملهُ على الأخماسِ، ونوفلَ بنَ الحارثِ بنِ عبدِ المطّلبِ.

قالَ: فجاءاهُ، فقالَ لمحميةَ: «**أنكحْ هذا الغلامَ ابنتكَ للفضلِ بنِ عبّاسٍ**» فأنكحهُ.

وقالَ لنوفلِ بنِ الحارثِ: «**أنكحْ هذا الغلامَ ابنتكَ**» - لي، فأنكحني.

وقالَ لمحميةَ: «**أصدقْ عنهما منَ الخمسِ كذا وكذا**»[٢].

ويظهر ذلك أيضاً في قصة تزويجه الفقير الذي لا يجد الصداق من الواهبةِ نفسها.

عنْ سهلِ بنِ سعدٍ رض الله عنه أنَّ امرأةً جاءتْ رسولَ الله ﷺ، فقالتْ: يا رسولَ الله، جئتُ لأهبَ لكَ نفسي، فنظرَ إليها رسولُ الله ﷺ، فصعّدَ النّظرَ إليها، وصوّبهُ، ثمَّ طأطأَ رأسهُ.

فلمّا رأتِ المرأةُ أنّهُ لمْ يقضِ فيها شيئاً؛ جلستْ.

فقامَ رجلٌ منْ أصحابهِ، فقالَ: يا رسولَ الله، إنْ لمْ يكنْ لكَ بها حاجةٌ فزوّجنيها.

فقالَ: «**هلْ عندكَ منْ شيءٍ؟**».

فقالَ: لا والله يا رسولَ الله.

قالَ: «**اذهبْ إلى أهلكَ، فانظرْ: هلْ تجدُ شيئاً؟**».

فذهبَ، ثمَّ رجعَ، فقالَ: لا والله يا رسولَ الله، ما وجدتُ شيئاً.

---

(١) يقال: ألمعَ ولمعَ إذا أشارَ بثوبهِ أوْ بيدهِ.

(٢) رواه مسلم [١٠٧٢]، وقد سبق.

قالَ: «**التمسْ ولوْ خاتماً منْ حديدٍ**».

فذهبَ، ثمَّ رجعَ، فقالَ: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ، ولا خاتماً منْ حديدٍ، ولكنْ هذا إزاري. قالَ سهلٌ: ما لهُ رداءٌ فلها نصفهُ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما تصنعُ بإزارِكَ؟ إنْ لبستهُ لمْ يكنْ عليها منهُ شيءٌ وإنْ لبستهُ لمْ يكنْ عليكَ شيءٌ**».

فجلسَ الرّجلُ حتّى طالَ مجلسهُ، ثمَّ قامَ، فرآهُ رسولُ اللهِ ﷺ مولّياً، فأمرَ بهِ، فدعيَ، فلمّا جاءَ قالَ: «**ماذا معكَ منَ القرآنِ؟**».

قالَ: معي سورةُ كذا، وسورةُ كذا، وسورةُ كذا. عدّها.

قالَ: «**أتقرؤهنَّ عنْ ظهرِ قلبكَ؟**».

قالَ: نعمْ.

قالَ: «**اذهبْ فقدْ ملّكتكها بما معكَ منْ القرآنِ**»[1].

من فوائد الحديث:

فيهِ: دليل لجوازِ هبة المرأة نفسها للنبي ﷺ، وأن ذلك من خصائصه لا يجوز لغيره، كما قالَ الله: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وفيهِ: جوازُ النّظر لمنْ أرادَ أنْ يتزوّج امرأةٍ، وتأمّلهُ إيّاها.

وفيهِ: استحبابُ عرضِ المرأة نفسها على الرّجل الصّالح؛ ليتزوّجها.

وفيهِ: أنّهُ يستحبُّ لمنْ طلبتْ منهُ حاجةٌ لا يمكنهُ قضاؤها أنْ يسكت سكوتاً يفهم السّائل منهُ ذلكَ، ولا يخجلهُ بالمنعِ إلّا إذا لمْ يحصل الفهم إلّا بصريحِ المنع فيصرّح.

وفيهِ: دليلٌ على أنّهُ يستحبُّ ألّا ينعقد النّكاح إلّا بصداقٍ لأنّهُ أقطع للنّزاعِ، وأنفع للمرأةِ

(١) رواه البخاري [٥٠٣٠]، ومسلم [١٤٢٥].

منْ حيثُ إنّهُ لوْ حصلَ طلاق قبل الدّخول وجبَ نصف المسمّى، فلوْ لمْ تكنْ تسمية لمْ يجب صداق، بلْ تجب المتعة، فلوْ عقدَ النّكاح بلا صداق صحَّ قالَ الله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وفيهِ: جوازُ كونِ الصّداق قليلاً وكثيراً ممّا يتموّل إذا تراضى بهِ الزّوجانِ؛ لأنَّ خاتم الحديد في نهاية منَ القلّة.

وفيهِ: جوازُ اتّخاذ خاتم الحديد.

وفيهِ: جوازُ الحلف منْ غير استحلاف ولا ضرورة.

وفيهِ: جوازُ تزويج المعسر وتزوّجه.

وفيهِ: نظرُ كبير القوم في مصالحهمْ، وهدايته إيّاهمْ إلى ما فيهِ الرّفق بهمْ.

وفيهِ: جوازُ أخذِ الأجرةِ على تعليمِ القرآن[١].

وكان يحثّهم على التكافل المالي فيما بينهم:

عنْ أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ النّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الأشعريّينَ إذا أرملوا في الغزوِ[٢]، أوْ قلَّ طعامُ عيالهمْ بالمدينةِ، جمعوا ما كانَ عندهمْ في ثوبٍ واحدٍ، ثمَّ اقتسموهُ بينهمْ في إناءٍ واحدٍ بالسّويّة، فهمْ منّي وأنا منهمْ**»[٣].

من فوائد الحديث:

فيه: فضيلة الأشعريّينَ.

وفيهِ: فضيلة الإيثار والمواساة، وفضيلة خلط الأزواد في السّفر، وفضيلةُ جمعها في شيء عند قلّتها في الحضر، ثمَّ يقسم[٤].

---

(١) ينظر: فتح الباري [٩/ ٢١٤]، شرح النووي على صحيح مسلم [٩/ ٢١٤].

(٢) أي: فنيَ طعامهمْ.

(٣) رواه البخاري [٢٤٨٦] ومسلم [٢٥٠٠].

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم [١٦/ ٦٢].

ويشبهُ ذلك اليومَ أو قريبٌ منه ما يسمّى: بـ الصناديق التعاونيّة التي تقيمها بعضُ القبائلِ، والأسرِ، والعائلاتِ، ويتمُّ فيها جمعُ اشتراكاتٍ من أفرادها كلٌّ حسب قدرته، ثم يصرفُ هذا المالُ في المحتاجين.

تنبيه: في كثيرٍ من البلادِ الإسلاميّة توجدُ صناديقُ تكافلٍ اجتماعيٍّ تابعةٌ للمؤسّساتِ، والهيئاتِ، المختلفة.

لكن للأسفِ الشديدِ يقومُ المسئولون فيها بوضع أموالِ الصناديقِ في البنوك الربويّة، ومساعدةِ المحتاجين من أموال الربا!

فيخشى أن يحقَّ عليهم قولُ الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

بنى مسجداً للهِ منْ غيرِ حلّهِ ... فصارَ بحمدِ الله غيرَ موفّقِ
كمطعمةِ الأيتامِ منْ كدِّ فرجها ... لكِ الويلُ لا تزني، ولا تتصدّقي

وكان يرشدهم إلى الأمور التي تساعد في القضاء على الفقر، ومنها:

- **صلة الرحم:**

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**منْ أحبَّ أنْ يبسطَ لهُ في رزقهِ، وينسأَ[1] لهُ في أثرهِ؛ فليصلْ رحمهُ**»[2].

فائدة:

سئلَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميّةَ عنِ الرّزقِ: هلْ يزيدُ أوْ ينقصُ؟ وهلْ هوَ ما أكلَ أوْ ما ملكهُ العبدُ؟

فأجابَ: «الرّزقُ نوعانِ:

أحدهما: ما علمهُ الله أنّهُ يرزقهُ، فهذا لا يتغيّرُ.

---

(١) أي: يؤخّر.

(٢) رواه البخاري [٢٠٦٧] ومسلم [٢٥٥٧].

والثّاني: ما كتبهُ، وأعلمَ بهِ الملائكةَ، فهذا يزيدُ، وينقصُ بحسبِ الأسبابِ، فإنَّ العبدَ يأمرُ الله الملائكةَ أنْ تكتبَ لهُ رزقاً، وإنْ وصلَ رحمهُ زادهُ الله على ذلكَ.

والأسبابُ الّتي يحصلُ بها الرّزقُ هيَ منْ جملةِ ما قدّرهُ الله، وكتبهُ، فإنْ كانَ قدْ تقدّمَ بأنّهُ يرزقُ العبدَ بسعيهِ واكتسابهِ ألهمهُ السّعيَ والاكتسابَ، وذلكَ الّذي قدّرهُ لهُ بالاكتسابِ لا يحصلُ بدونِ الاكتسابِ، وما قدّرهُ لهُ بغيرِ اكتسابٍ كموتِ موروثهِ يأتيهِ بهِ بغيرِ اكتسابٍ.

والسّعيُ سعيان: سعيٌ فيما نصبَ للرّزقِ؛ كالصّناعةِ، والزّراعةِ، والتّجارةِ.

وسعيٌ بالدّعاءِ، والتّوكّلِ، والإحسانِ إلى الخلقِ ونحوِ ذلكَ؛ فإنَّ الله في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيهِ[1].

- **ترك المعاصي:**

عنْ ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الرّجلَ ليحرمُ الرّزقَ بالذّنبِ يصيبهُ**»[2].

وعنْ عبدِ الله بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: أقبلَ علينا رسولُ الله ﷺ، فقالَ: «**يا معشرَ المهاجرينَ، خمسٌ إذا ابتليتمْ بهنَّ، وأعوذُ بالله أنْ تدركوهنَّ:**

لمْ تظهرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتّى يعلنوا بها إلّا فشا فيهمُ الطّاعونُ، والأوجاعُ الّتي لمْ تكنْ مضتْ في أسلافهمْ الّذينَ مضوا.

ولمْ ينقصوا المكيالَ، والميزانَ إلّا أخذوا بالسّنينَ، وشدّةِ المئونةِ، وجورِ السّلطانِ عليهمْ.

ولمْ يمنعوا زكاةَ أموالهمْ إلّا منعوا القطرَ منَ السّماءِ، ولولا البهائمُ لمْ يمطروا.

---

(١) مجموع الفتاوى [٨/ ٥٤١، ٥٤٠].

(٢) رواه ابن ماجة [٩٠]، وحسّنه العراقي كما في مصباح الزجاجة [١/ ١٥]، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق ابن حبان [٨٧٢]، وصححه الحاكم في المستدرك [١٨١٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣٧٣٣]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع [١٤٥٢].

ولمْ ينقضوا عهدَ الله، وعهدَ رسولِهِ إلّا سلّطَ الله عليهمْ عدوّاً منْ غيرهمْ، فأخذوا بعضَ ما في أيديهمْ، وما لمْ تحكمْ أئمّتهمْ بكتابِ الله، ويتخيّروا ممّا أنزلَ الله إلّا جعلَ الله بأسهمْ بينهمْ»[(١)].

وعنِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّهُ قالَ: **«ما أحدٌ أكثرَ منَ الرّبا إلّا كانَ عاقبةُ أمرِهِ إلى قلّةٍ»**[(٢)].

- **والمتابعة بين الحج والعمرة:**

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تابعوا بينَ الحجِّ والعمرةِ؛ فإنّهما ينفيانِ الفقرَ والذّنوبَ كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد»**[(٣)].

- **وترك سؤال الناس:**

عنْ أبي كبشةَ الأنّماريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّهُ سمعَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **«ثلاثةٌ أقسمُ عليهنَّ: ما نقصَ مالُ عبدٍ منْ صدقةٍ. ولا ظلمَ عبدٌ مظلمةً فصبرَ عليها إلّا زادهُ الله عزّاً. ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلّا فتحَ الله عليهِ بابَ فقرٍ»**[(٤)].

- **والتوكّل على الله في طلب الرزق:**

عنْ عمرَ بنِ الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّهُ قالَ: **«لوْ أنّكمْ كنتمْ توكّلونَ على الله حقَّ توكّلِهِ؛ لرزقتمْ كما يرزقُ الطّيرُ تغدو خماصاً** [أي: جياعاً]**، وتروحُ بطاناً»**[(٥)].

«لوْ أنّكمْ كنتمْ توكّلونَ على الله حقَّ توكّلِهِ» بأنْ تعلموا يقيناً أنْ لا رازق إلّا الله، وأنْ لا معطيَ، ولا مانعَ إلّا هوَ، ثمَّ تسعونَ في الطّلبِ بوجهٍ جميلٍ، وتوكّلٍ[(٦)].

---

(١) رواه ابن ماجة [٤٠١٩]، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع [٧٩٧٨].

(٢) رواه ابن ماجة [٢٢٧٩]، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع [٥٥١٨].

(٣) رواه النسائي [٢٦٣٠] عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع [٢٨٩٩].

(٤) رواه الترمذي [٢٣٢٥]، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع [٣٠٢٤].

(٥) رواه الترمذي [٢٣٤٤]، وابن ماجة [٤١٦٤]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٥٢٥٤].

(٦) تحفة الأحوذي [٧/ ٧].

ومع ذلك لم يكنْ ﷺ يخافُ على أمّته من الفقر بقدر ما كان يخشى عليهم من التنافس على الدنيا:

عن عمرو بنَ عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ أبا عبيدةَ بنَ الجرّاحِ إلى البحرينِ يأتي بجزيتها.

وكانَ رسولُ الله ﷺ صالحَ أهلَ البحرينِ، وأمّرَ عليهمْ العلاءَ بنَ الحضرميِّ.

فقدمَ أبو عبيدةَ بمالٍ منْ البحرينِ.

فسمعتِ الأنصارُ بقدومِ أبي عبيدةَ، فوافوا [أتوا] صلاةَ الفجرِ معَ النّبيِّ ﷺ، فلمّا انصرفَ تعرّضوا لهُ.

فتبسّمَ رسولُ الله ﷺ حينَ رآهمْ.

ثمَّ قالَ: «**أظنّكمْ سمعتمْ أنَّ أبا عبيدةَ قدمَ بشيءٍ؟**».

قالوا: أجلْ يا رسولَ الله.

قالَ: «**فأبشروا، وأمّلوا ما يسرّكمْ، فوَ الله ما الفقرَ أخشى عليكمْ، ولكنّي أخشى أنْ تبسطَ عليكمْ الدّنيا كما بسطتْ على منْ كانَ قبلكمْ، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككمْ كما أهلكتهمْ**»(١).

قالَ ابن بطّال: «فيهِ: أنَّ زهرة الدّنيا ينبغي لمنْ فتحتْ عليهِ أنْ يحذرَ منْ سوءِ عاقبتها، وشرِّ فتنتها، فلا يطمئنَّ إلى زخرفها، ولا ينافسَ غيره فيها»(٢).

وعن أبي الدّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ، ونحنُ نذكرُ الفقرَ، ونتخوّفهُ، فقالَ: «**آلفقرَ تخافونَ؟ والّذي نفسي بيدهِ لتصبّنَّ عليكمُ الدّنيا صبّاً، حتّى لا يزيغَ قلبَ أحدكمْ إزاغةً إلّا هيهْ، وايمُ الله لقدْ تركتكمْ على مثلِ البيضاءِ ليلها ونهارها سواءٌ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري [٤٠١٥]، ومسلم [٢٩٦١].

(٢) شرح ابن بطال على صحيح البخاري [١٠/ ١٥٥].

(٣) رواه ابن ماجة [٥]، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع [٩].

«**لا يزيغ**» منَ الإزاغة بمعنى الإمالة عنِ الحقِّ.

«**إلّا هيهِ**» (هيَ) ضمير الدّنيا، والهاء في آخره للسّكتِ، وهوَ فاعل يزيغ.

أي: أنه لا شيء يزيغُ قلبَ أحدكم إلا الدنيا[1].

هـيَ الـدّنـيـا بأهليها تـدورُ ... بهـا الميـسـورُ يسعى والفقيرُ
هيَ الأرزاقُ قدْ قسمتْ عليهمْ ... يصيبهمُ القليلُ، أوِ الكثيرُ
وقسّمتِ المصائبُ والبلايا ... فلا يعفى الكبيرُ، ولا الصّغيرُ
أبـرُّ الـنّـاسِ أرحمهمْ جميعاً ... رسـولُ الله، وهـوَ بهـا جديرُ
يرى الفقرا، فيحزنُ إذْ رآهمْ ... وهـمْ مـنْ حـولـهِ جـمٌّ غفيرُ
ويـدعـو للنّدى حتّـى إذا ما ... كفوهمْ قـامَ يعلوهُ الـسّرورُ
يقاسمهمْ إذا جـاءوا غـذاهُ ... ويـؤثـرهـمْ بـهِ، وهـوَ الأثـيـرُ
ويبعثهمْ إذا لـمْ يـلـقَ زاداً ... إلى أصـحـابـهِ، وهـمُ كثيرُ
ويصبرُ مثلهمْ، ويزيدُ صبراً ... إذا قـلَّ الطّعامُ هـوَ الصّبورُ
تـمـرُّ أهـلّـةٌ شـهـرٌ، فشهرٌ ... ومـا في بـيـتـهِ نـارٌ تـنـيرُ
لـهُ ولأهـلـهِ تـمـرٌ ومـاءٌ ... عـلى هـذا تتابعتِ الشّـهـورُ
ونـحـنُ إذا مضى يـومٌ علينا ... بـغـيـرِ تـفـكّـهٍ فـيـهِ نـشـورُ
تنوّعتِ الصّنوفُ، فهلْ شكرنا ... وتـلـكَ عـلى مـوائـدنـا تـدورُ؟

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجة [١/ ٦].